الهجرة اللبنانية
Lebanese immigration

د ناديا مصطفى الصالح(*) Dr. Nadia Al-Saleh

تاريخ الإرسال:11-4-2024 تاريخ القبول:19-4-2024

ملخص البحث:

يعالج البحث موضوع الهجرة اللبنانيّة منذ غابر التاريخ، وهو الزّمن الذي باشر فيه الفينيقيون وهم "أوائل اللبنانيين" مغامراتهم عبر البحار والذين وفق بعض المؤرخين، وصلوا إلى القارة الأميركيّة في أواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد والى أميركا اللاتينيّة خلال التّوسع الإسباني، والبرتغالي في القرنين الثاني عشر والرابع عشر،وتركزت موجات الهجرة باتجاه الأميركيتين وأوستراليا، وقبلهما نحو مصر، عبر موجتين. ثم اتسع نطاق الهجرة اللبنانيّة بلدانًا عديدة متفرقة في العالم: كندا، أوستراليا، مكسيكو، نيوزيلندا، وأفريقيا، وجزائر الهند الغربية والفيلبين وغيرها، لتتوقف نسبيًّا أثناء الحرب العالميّة الأولى التي قضَت على ثُلث سكان لبنان. وفي أعقاب استقلال لبنان عن الحكم الفرنسي، وقيام الدولة اللبنانيّة في العام ١٩٤٣، توَجّه اللبنانيّون إلى مَناطق جديدة، وهي أوستراليا وأوروبا الغربيّة (فرنسا) ودوَل الخليج وغرب أفريقيا، ومع اندِلاع الحرب الأهليّة العام ١٩٧٥ استقروا في أمريكا الشّماليّة وأوستراليا، وبحكم فرص العمل المحدودة توجّه اللبنانيّون إلى السعودية ودول الخليج العربي. وكان لاكتشاف النّفط في هذه البلدان أثره البالغ في ذلك، وقد بدأت دول الخليج بإقامة المشاريع التنموية ما استدعى وجود شركات عالميّة كبرى في المنطقة كانت بحاجة الى الأيدي العاملة، والمهارات والخبرات التي لم تكن متوفرة في السّوق المحليّة، وأدّى المتمولون اللبنانيون دورًا بارزًا في هذا المجال، فأنشأوا الشركات العقاريّة الكبرى ونشطوا في حقل المقاولات، واستقدموا الآف العمال اللبنانيين الى دول الخليج للعمل في مشاريعهم.

استنادًا الى ذلك قسّمنا البحث الى فصلين: يُعنى الفصل الأول بالمراحل التّاريخيّة للهجرة اللبنانيّة ومعاناة المهاجرين الأوائل، والفصل الثاني يحكي عن موجات الهجرة وأسبابها.

* أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانيّة- كلية الحقوق والعلوم السياسيّة والإداريّة-علاقات دولية- كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة.
Assistant Professor at the Lebanese University - Faculty of Law, Political and Administrative Sciences International Relations-Faculty of Arts and Human Sciences Email: vbcv5g5@mail.ru

الكلمات المفتاحيّة: الهجرة، المراحل التّاريخيّة للهجرة، بلاد الاغتراب، أسباب الهجرة، موجات الهجرة، معاناة المهاجرين الأوائل.

summary

The research addresses the issue of Lebanese immigration since ancient times, which is the time in which the Phoenicians, "the first Lebanese," began their adventures across the seas, and who, according to some historians, arrived on the American continent in the middle of the twelfth century BC. And to Latin America during the Spanish and Portuguese expansion in the twelfth centuries. And the fourteenth. The waves of immigration focused towards the Americas and Australia, and before that towards Egypt, in two waves. Then the scope of Lebanese immigration expanded to many different countries in

The world: Canada, Australia, Mexico, New Zealand, Africa, Algeria, the West Indies, the Philippines, and others, to a relative halt during the period of World War I, which wiped out a third of Lebanon's population. Following Lebanon's independence in 1943, the Lebanese headed to new regions, namely Australia and Western Europe. (France), the Gulf states, and West Africa. With the outbreak of the civil war in 1975, they settled in North America and Australia. Due to the limited job opportunities, the Lebanese headed to Saudi Arabia and the Arab Gulf states. The discovery of oil in these countries had a significant impact on this, as the Gulf countries began to establish development projects, which necessitated the presence of major international companies in the region that needed manpower, skills, and expertise that were not available in the local market. Lebanese financiers have played a prominent role in this field, establishing major real estate companies, being active in the contracting field, and bringing thousands of Lebanese workers to the Gulf countries to work in their projects.

Based on this, we divided the research into two chapters. The first chapter deals with the historical stages of Lebanese immigration and the suffering of the first immigrants, and the second chapter talks about the waves and causes of immigration.

Keywords:

Immigration, historical stages of immigration, countries of emigration, reasons for immigration, waves of immigration, suffering of the first immigrants

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث كموضوع حيوي يسلط الضوء على أهمية الهجرة إذ إنّها ليست مشكلة، كما دأبت على استخدام هذا التّعبير مختلف الكتابات والأدبيات الاجتماعيّة والسياسيّة والسكانيّة، وإنّما هي قضية، أيّ أنّها تتخطى منظور المشكلة الاجتماعيّة التي يمكن حلّها بتدابير، وبإجراءات إداريّة وتقنيّة تطبيقيّة، لتصبح جزءًا من واقع اجتماعي ديموغرافي، أي جزءًا من بنية مجتمعيّة، لتستمر هذه القضية حاضرة، تخبو جذوتها أو تزدهر، وتنطلق حسب الأوضاع الظرفية التي يمر بها هذا الواقع.

ضمن الإشكالية نطرح سؤالا: ما هي المراحل التّاريخيّة وموجات الهجرة وأسبابها؟

ويتفرع عنها الأسئلة الآتية:

- هل الهجرة اللبنانيّة مشكلة، أم قضية حقّة يجب الوقوف خلفها بقوة لإيجاد للحؤول دون استعصائها؟
- هل كُتِب على الشّباب اللبناني الحصول على مؤهلات كبيرة للعمل خارج وطنهم من دون سعي المسؤولين لإيجاد مخرج للأزمة من أجل الإبقاء عليهم والاستفادة من خبراتهم؟

منهجيّة البحث: اعتمدنا في هذا البحث على المنهجين العلمي التّاريخي والتحليلي من خلال تقديم وصف وقائعي، يستند إلى المصادر الاحصائيّة المتوافرة للهجرة التي بها حُوِّلت أغلبية اللبنانيين لأن يقيموا خارج وطنهم.

أهداف البحث: يهدف البحث الى الإضاءة على تزايد أفواج المهاجرين إلى بلاد الله الواسعة، للهروب من واقع معيشي مرفوض، وغير ملائم للبنانيين من خلال تدني الأجور وعدم أيجاد فرص للعمل، ما يضطرهم إلى تحسين أوضاعهم الاقتصادية في ظروف عمل أخرى تناسب مؤهلاتهم العلمية والحياتيّة.

الاستنتاجات:

1- الخسائر الماديّة من الممكن تعويضها، لكنّ النّزف الحادّ في الكفاءات، والأدمغة سيترك تداعيات مدوية في المجتمع اللبناني؛ ما يهدد لبنان بمستقبل قاتم.
2- فاعتياد لبنان تاريخيًّا على تصدير الأدمغة، ورأس المال البشري في كل القطاعات بالأخص القطاع التعليمي الذي يعيش تداعيات كبيرة، لهو معضلة تترك لها آثارًا في المدى القريب والبعيد.
3- موجة الهجرة الجديدة التي يشهدها البلد منذ العام ٢٠١٩ والتي انطلقت مع تداعي القطاع المصرفي، واحتجاز أموال المودعين هي الأخطر مما سبقها من هجرات.

التوصيات:

- ضرورة الحدّ من نزف الهجرة المتزايد من خلال إيجاد ظروف عمل مؤاتية للاختصاصات جميعها، مع زيادة الأجور لتناسب الوضع المعيشي والأزمة الاقتصادية القائمة.
- القضاء على الواسطة ووضع الشّخص المناسب في المكان المناسب.
- القضاء على الفساد والرّشوة وهدر الأموال بطريقة مبتذلة مع تغيير النّظام الحالي والذي هو المعضلة الأكبر .

المقدمة

تُعدُّ اليوم دراسة الهجرة اللبنانيّة من الدّراسات الدقيقة جدًا لتداخلها مع مختلف العلوم الإنسانيّة، والاجتماعيّة كونها تدور حول نقطة مركزية هي دراسة التّفاعل الاجتماعي الكائن في طرفي الهجرة، وهما مجتمع الإرسال ومجتمع الاستقبال، إضافة الى حلقة أساسيّة تربطهما ببعضهما البعض ألّا وهي المهاجر.فعلاقة الإنسان بالأرض هي علاقة مزدوجة تفاعليّة استقرارا أو انتشارًا مع ما يرافقها من سلبيات أو ايجابيات ..بمعنى أنّ أيّ خلل في انتظام هذه العلاقة (في محيطه الماديّ أو الاجتماعي) يؤدي إلى اليأس ثم الابتعاد الى أراضي الله الواسعة.

هذا ويغادر العديد من الناس سنويًّا من بلادهم، والأراضي التي يعيشون عليها الى بلاد أخرى للبحث عن حياة أفضل لذلك يختار معظمهم الهجرة الى دول، وأماكن جديدة تساعدهم على تحسين مستوى حياتهم المعيشي، أو للهروب من الاضطرابات السياسيّة والحروب فيجبرون على التأقلم مع طبيعة الحياة في البلد الجديد خصوصًا مع ظهور الاختلافات الثقافيّة والاجتماعيّة، وقد لا يجد الكثير من المهاجرين سوى الأعمال الشّاقة للعمل بها والتي تستغرق ساعات طويلة وأجور منخفضة وظروف عمل صعبة.

هذه الهجرة التي تعرضت لها بلادنا مع ما رافقها من فقدان كفاءات عالية، وأدمغة تفرض علينا الرجوع أربعة الآف سنة في غابر التّاريخ، وهو الزّمن الذي باشر فيه الفينيقيون، وهم «أوائل اللبنانيين» في مغامراتهم عبر البحار والذين وفق بعض المؤرخين، وصلوا إلى القارة الأميركيّة في أواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولقد استندت الدّراسات في هذا الإطار وبصورة خاصة إلى الكتابات الفينيقيّة في حجارة غافيا وبارايبا في البرازيل. كماتأكد من حضور اللبنانيين في أميركا اللاتينية في القرن السّابع بعد الميلاد وذلك عندما استطاع الحاكم بن براجيل الوصول من مراكش، وقرطبة إلى جزيرة الآسور محققًا بعد ذلك مأثرة اجتياز المحيط الأطلسي العام ٧٠٥ بعد الميلاد، ووصل

إلى مصب نهر بارنايبا في ولاية بياوي (الحالية) والى منطقة تسمى اليوم إنفرا دوس ريس. ولقد قام هذا الحاكم بوضع الخرائط للشاطئ، ووضع خاتمة تحت عنوان «براجيل» وأعطى راسمي الخرائط الشّروحات اللازمة كلّها. وفي متابعتهم البحث تحقق المؤرخون أيضًا من الوجود العربي، واللبناني في أميركا اللاتينية خلال التوسع الإسباني والبرتغالي في القرنين الثاني عشر والرابع عشر.

وقد تركزت موجات الهجرة باتجاه الأميركيتين وأوستراليا، وقبلهما نحو مصر عبر موجتين. ما بين ٩٠٠-١٩١٤ انخفض عدد سكان الجبل عن طريق الهجرة الى زوايا الأرض الأربع بمعدل خمس وعشرين بالمئة أيّ مئة ألف نسمة ثم اتسع نطاق الهجرة اللبنانيّة إلى بلدان عديدة متفرقة في العالم: كندا، أوستراليا، مكسيكو، نيوزيلندا، وأفريقيا، الجزائر الهند الغربية والفيلبين وغيرها، لتتوقف نسبيًّا أثناء الحرب العالميّة الأولى.

عندما حلّت الحرب العالميّة الأولى العام ١٩١٤، تأثّر لبنان فيها بشكل مباشر، فحاصرت السّلطات التركيّة لبنان وأقفلت حدوده البحريّة والبريّة، لتتوقّف حركة الملاحة والسّفر. بالإضافة الى ذلك أتت موجات الجَرَاد التي أكلت الأخضر واليابس، ما أدّى الى مجاعة كبيرة والى أمراض عديدة وحالات خوف وهلع...كل هذه العوامل، قضَت على ثُلث سكان لبنان تقريبًا. وعند انتهاء الحرب العالميّة استأنف الشّباب اللبناني السّفر بحثًا عن مجالات العمل والثروة، وبدأوا بتحويل الأموال لإعالة أهلهم الذين رزحوا طوال حقبة الحرب تحت نير العثمانيين واضطهادهم. وقد بدأت تمتدّ مرحلة الهجرة الحديثة، منذ إعلان دولة لبنان الكبير العام ١٩٢٠ وصولًا إلى إعلان الجمهوريّة اللبنانيّة العام ١٩٢٦ ومن ثمَّ ستقلال لبنان في العام ١٩٤٣ وانتهاء الانتداب الفرنسي على لبنان.

توَجّه اللبنانيّون في أعقاب استقلال لبنان العام ١٩٤٣ إلى مَناطق جديدة، وهي أوستراليا وأوروبا الغربيّة (فرنسا) ودوَل الخليج وغرب أفريقيا.

ومع اندِلاع الحرب الأهليّة العام ١٩٧٥، فرّ اللبنانيون من حالة عدم الاستِقرار والصراع، واستقرّوا في أمريكا الشماليّة وأوستراليا، فأصبحت ألمانيا والسويد وجهةً شعبيّة للّبنانيّين، إلّا أنّ الهجرة لم تهدأ مع نهاية الحرب، وبحكم فرص العمل المحدودة توجّه اللبنانيّون إلى السّعودية ودول الخليج العربي، وكان لاكتشاف النّفط في هذه البلدان أثره البالغ في ذلك إذ بدأت دول الخليج بإقامة المشاريع التّنمويّة ما استدعى وجود شركات عالميّة كبرى في المنطقة كانت بحاجة

الى الأيدي العاملة، والمهارات والخبرات التي لم تكن متوفرة في السّوق المحليّة. وأدّى المتمولون اللبنانيون دورًا بارزًا في هذا المجال فأنشأوا الشّركات العقاريّة الكبرى، ونشطوا في حقل المقاولات واستقدموا آلاف العمال اللبنانيين الى دول الخليج للعمل في مشاريعهم. تميزت هذه الحقبة بهجرة الأدمغة خصوصًا الى أوروبا الغربيّة، وأمريكا الشّماليّة وذلك بعد صدور قانون الهجرة والجنسيّة الأميركي، كذلك تزايد عدد المهاجرين الى أوستراليا بين عامي ١٩٨٠-١٩٨٨ وبسبب حرب الخليج الأولى، توجهت معظم الهجرات نحو بلدان الأميركيتين وأوروبا الغربية وأفريقيا.

وعلى الرّغم من سلسلة الأحداث، وإخفاق الطبقة السياسيّة، والشّغور الرئاسي؛ إضافة الى اضطراب المنطقة بفعل ما سمي «الربيع العربي»، كل ذلك ألقى ظلالًا من اليأس والإحباط والشّك في إمكان استقرار لبنان، ما دفع الكثيرين الى الهجرة من جديد، خاصة في غياب فرص العمل لآلاف الخريجين.

لم يشهد لبنان في تاريخه الحديث هجرة أمنيّه كالتي حصلت في سنوات الحرب اللبنانيّة ١٩٧٥-١٩٩٠، والأزمات اللبنانيّة ١٩٩٢-٢٠٠٦ إذ ما منطقة في العالم إلّا وشهدت سيلًا من المهاجرين اللبنانيين التي تزامنت مع محاولات إعادة الإعمار، والسّياسات المالية الخاطئة التي كانت تعتمد على الاستدانة من الخارج لتمويل المشاريع المتوقع تنفيذها والتي كانت مدمّرة للاقتصاد.

ومع تأزّم الوضع السياسيّ في البلاد، ووصوله إلى طريق شبه مسدودة، بدت ملامح موجة هجرة جديدة مع إعلان العديد من المؤسّسات اعتزامها وقف أعمالها، نظرًا للتدهور الحادّ في العملة الوطنية وقد وصلت إلى أرقام قياسيّة، لم يسبق لها مثيل، ما انعكس بشكل سلبي على الأجور وأسعار السّلع والخدمات. وفي ظلّ غياب المعلومات، ثمّة اعتقاد سائد أنّ عدد المهاجرين بلغ نحوَ ١٥ مليونًا في حين أن المقيمين في لبنان من اللبنانيين لا يزيد عددهم عن ستة ملايين.

الفصل الأول

أ-المراحل التّاريخيّة للهجرة اللبنانيّة:

لقد مرت الهجرة اللبنانيّة بمراحل زمنيّة متفاوتة شكلت محطات رئيسة في تحديد مسار التحركات السكانية ويمكن في هذا السياق ذكر ثلاثة مراحل زمنية:

١- **المرحلة الاولى**: (ابتدأت من اواسط القرن التاسع عشر بعد أحداث ١٨٦٠ الطائفيّة وانتهت مع الحرب العالمية الأولى(١٨٦١-١٩١٨)

تأرجح لبنان عبر تاريخه بين تحقيق نوع من الحكم الذاتي وبين الخضوع للولاة العثمانيين. ففي عهد الإمارة عرف لبنان نوعًا من الحكم الذّاتي لاسيما في ظل الأمير فخر الدين الثاني، وبشير الشهابي لينتقل الى الحكم المباشر في ظل نظام القائمقاميتين الذي قسم مناطق الجبل إلى قائمقاميّة مسيحيّة وأخرى درزية ضمن الدذولة العثمانيّة هذا النّظام أرسى للمرة الأولى مبدأ التقسيم بين أهالي الجبل، وأحدث شرخًا في العلاقات بينهم والقضاء على إمكانيّة التآلف والتّعايش بين الطوائف ليعمق الانقسام الطائفي لين اللبنانيين، ويعطيه قالبًا سياسيًّا وقانونيًّا. وعن طريق القائمقاميتين دخلت الدّول الأوروبيّة لبنان من بابه الواسع، فأصبح هذا البلد مسرحًا للصراعات الدّوليّة، ومدخلًا للحروب الأهلية، فتتنافس عليه الدول الكبرى وتجد فيه الدول العربيّة والإسلاميّة مكانًا مناسبًا لحلّ الخلافات المستعصيّة.

ولقد مر هذا النّظام بمرحلتين اثنتين ثبتت الدول الأوروبيّة في المرحلة الأولى بالاتفاق مع الدولة العثمانيّة، مبدأ التّقسيم وفي المرحلة الثانية المشاكل الإداريّة والطائفيّة التي نشأت عن التّقسيم عن طريق تعديلات أدخلت على هذا النّظام عرفت بتنظيمات شكيب أفندي والتي وضعت الأسس الأولى للتمثيل الطائفي، وجعلت من الطوائف شخوصًا معنويّة من أشخاص القانون العام وأصبحت الطائفية القاعدة التي ترتكز عليها الحياة السياسيّة في لبنان. وهكذا فما إنّ أطلّ العام ١٨٥٨ حتى تفجّر الصّراع بكل وجوهه في الجبل بين القائمقاميتين ليأخذ طابعًا طائفيًّا، ويتحول إلى حرب أهليّة فيها اضطرابات استغلتها الدّول الأوروبيّة[1] كي تضغط على السّلطان عبد الحميد بشكل يحقق مصالحها الاقتصادية والأيديولوجيّة في الشّرق[2]، انتهت بوضع نظام البروتوكول (١٨٦١-١٨٦٤) الذي أوجد كيانًا جديدًا عرف» بمتصرفيّة جبل لبنان، فأعطاه استقلالًا نوعيًّا وإداريًّا.عُيّن على هذه المتصرفيّة حاكم مسيحي غير لبناني يعاونه مجلس إدارة يمثل مختلف الطوائف الموجودة على أرضها، وحلّ هذا النّظام بديلًا عن نظام القائمقاميتين[3]. وطُبِّق حتى مطلع الحرب العالميّة الأولى لينقضه جمال باشا العام١٩١٥عندما عيّن على جبل لبنان متصرفين عثمانيين.

وكانت الدولة العثمانيّة قد وضعت العام 1866 نظام «الباسبورطات» فعمد المتصرّف مظفر باشا إلى «تنظيم» الهجرة عبر وضعه سلسلة من الشّروط على مغادري أرض المتصرفيّة. فألزم المهاجر أن يحمل جواز سفر، والمسافر تذكرة سفر وحصر أمر الموافقة بالهجرة أو السّفر بالحكومة

اللبنانيّة وحدها، وحدّد شروط الانتقال إلى الخارج، وأقدم المتصرّف مظفر باشا على اتخاذ قرار يقضي بأن يرافق المسافرين ضابط من شرطته، يساعدهم على إنجاز معاملاتهم في المرفأ وإيصالهم إلى السفينة واستقبال العائدين منهم، وذلك من أجل حمايتهم من التعدّيات عليهم في مرفأ بيروت[4].

وقد شهد عهد أوهانس باشا ١٩١٣-١٩١٨ إعادة نظر في إحصاء النّفوس في نطاق المتصرفية. فارتكز هذا العمل على القيام بمسح ديمغرافي شامل شمل المهاجرين وذلك في محاولة لصياغة تشريعات خاصة بتنظيم حركة الهجرة، وقد خلص هذا المسح الديموغرافي إلى إحصاء رسمي يفيد أن معظمهم من المسيحيين. أثارت نسبة ارتفاع عدد المهاجرين المسيحيين من جبل لبنان ردود فعل سلبيّة في الدّول ذات المصالح المعنيّة في أوضاع هذه المنطقة، وكانت النتيجة العمل على تنظيم هذه الهجرة، ووضع القيود للحد من تفاقمها. وبيّن الإحصاء الرسمي للتوزيع الطائفي للعام ١٩١٥ أنّ عدد المهاجرين من المسيحيين بلغ ٨٠ بالمئة من بينهم ٦٩بالمئة من الموارنة، و١٥ بالمئة من الأرثوذكس و١١ بالمئة من الكاثوليك و٥ بالمئة فقط من الشيعة. وحال دون انتشار الهجرة الواسعة بين المسلمين اختلاف العقيدة الدّينيّة في المجتمعات المستقبلة للمهاجرين، والفتاوى الدّينيّة التي حرمت السّفر على المسلمين، وألزمتهم بعض القوانين العثمانيّة بالخدمة العسكرية في صفوف جيشها[5].

عمد جمال باشا أثناء تسلمه السّلطة الحقيقيّة في جبل لبنان الى إنشاء الديوان العرفي في عاليه الذي كان يحاكم المعارضين ميدانيًّا، ويصدر بحقّهم عقوبات غير قابلة للرد، ويتولى تنفيذها.وقد بلغ القمع ذروته في ٦ أيار ١٩١٦عندما علق أحرار لبنان وسوريا على المشانق في بيروت ودمشق،وصادر امتيازات الأجانب التّابعين لدول الحلفاء، وألغى امتيازات رجال الدّين والخاصة بالبطريرك الماروني، وأقال المتصرف أوهانس باشا، وعيّن المتصرفيين الثلاثة اللاحقين وإقالتهم من دون مراجعة الدّول المعنيّة، وألغى استقلال جبل لبنان وجعله ولاية عثمانية[6]، ومارس كلّ أنواع الظلم والاستبداد، والتّجويع والتشريد والقتل والإذلال بحقّ المواطنين[7] فكانت الهجرة متنفسًا طبيعيًّا للخلاص من هذه الحالة، والأمر الذي حدا بمعظم العائلات الى ترحيل أبنائها بعيدًا من سيطرة السلطات العثمانيّة، وتوجّه معظم المهاجرين آنذاك نحو بلدان أميركا اللاتينيّة[8]. ونشطت في تلك المرحلة السّمسرات التي قام بها ذوو الاختصاص، والمنفعة في تهريب البشر

على متن سفن الشّحن لقاء مبالغ من المال وفق ظروف صعبة نتج عنها اختفاء بعض المسافرين، وانقطاع أخبارهم، وأوجدت هجرة هذه المرحلة ما يعرف اليوم بـ «المتحدرين من أصل لبناني» الذين لم يرجعوا الى بلدهم؛ وتزوجوا في المهجر وأسسوا عائلات يحمل أفرادها جنسيّة البلدان التي اقاموا فيها ومنحوها ولاءً مطلقًا، ولم يسعوا لتسجيل أولادهم وفاقًا للاصول المتبعة في دوائر الأحوال الشّخصيّة في لبنان.

٢- المرحلة الثانية: عهد الانتداب الفرنسي(١٩١٨-١٩٤٣)

احتل الجنرال الفرنسي اللنبي في شهر أيلول العام ١٩١٨ فلسطين تمهيدًا لاحتلال لبنان وسوريا، وكانت الجيوش العربية بقيادة فيصل بن الحسين تعاونه عن طريق شرقي الأردن[9]. وفي تشرين الأول أنزل الأسطول الفرنسي فرقة من الجنود في مدينة بيروت، وقد تركت نقوشًا لها على صخرة نهر الكلب تخليدًا لذكرى احتلال سورية ولبنان، وفي مؤتمر سان ريمو(إيطاليا) سنة ١٩٢٠ أعطيت فرنسا بوصفها من ورثة السّلطنة العثمانيّة المنحلة الانتداب على سوريا ولبنان، وبعد سنتين وقّع لبنان على صكّ الانتداب الذي وضع العلاقات الفرنسيّة اللبنانيّة على صعيد دولي تحت رعاية عصبة الأمم. وفي اليوم الأول من شهر أيلول ١٩٢٠ أعلن الجنرال غورو في بيروت إعادة لبنان الكبير، ووضع دستور جديد لحكم البلاد ولتعيين الحدود[10].

أمّا المدن البحريّة التي أُلحِقت بلبنان - بيروت التي أصبحت العاصمة وصيدا وصور وطرابلس- والمدن والمقاطعات الدّاخليّة مثل البقاع وبعلبك، وحاصبيا وراشيا ومرجعيون فإنّها كانت سابقًا جزءًا من لبنان تاريخيًّا وجعرافيًّا، وكان يحكمها المعنيون ثم الشّهابيون غير أن مساحة الأرض التي أُلحقت بجبل لبنان ضاعفت تقريبًا مساحته وزادت عددًا.

وفي ٢٣ أيار ١٩٢٦ أعلن دولة لبنان جمهورية، ووضع دستور جديد[11] ينص على إقامة نظام برلماني وحكومة ديمقراطيّة[12]، ومع إعلان دولة لبنان الكبير ١٩٢٠ بدأ الاحتفاء بالهجرة اللبنانيّة والتّنظير لها.

ولم يعد ٤٤٠٠ مهاجر، هو متوسط العدد السنوي لمغادري لبنان بين عامي ١٩٢١- ١٩٣٨، رقمًا ذا شأن في تاريخ الهجرة وحجمها، ولعل السبب الأبرز لتراجع أعداد الهجرة لمن لا يقيم في لبنان إنّما في بلاد الاغتراب (الولايات المتحدة والأرجنتين والبرازيل) التي ضربتها أزمة العام ١٩٢٩، ما جعل عدد العائدين إلى لبنان منذ العام ١٩٣١ حتى ١٩٣٨، أكثر من المغادرين. قسّم

إحصاء العام ١٩٣٢ اللبنانيين إلى فئتين، فئة هاجرت قبل ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٢٤، وفئة هاجرت بعد هذا التاريخ، وعدّ أنّ جزءًا منه لا تنتفي عنه صفة اللبناني، ما دام يؤدي الضرائب، وليس مهاجرًا كليًّا، لأنّ من الممكن أن يعود يومًا.

ووصل مجمل عدد المهاجرين قبل٣٠ أغسطس، وبعده من دافعي الضرائب وغير الدافعين إلى ٢٥٤.٩٨٧ مهاجرًا، أيّ ما يعادل ثلث سكان لبنان المقيمين يومذاك. وغادر من تخلف عن دفع ضرائبها[13]. الى جانب أن الهجرة جعلت «وزن» جبل لبنان «يتراجع» لمصلحة بيروت، بعد «استبدال جبل لبنان بلبنان الكبير» الذي عدّه المسيحيون «إعادة البلد إلى حدوده الطبيعيّة والتّاريخيّة»، على الرّغم من أنّه «مثير للمخاوف من ذوبانهم في مدى إسلامي أوسع»، في حين رأى المسلمون أنّ إعلان لبنان الكبير «حاجز في طريق الوحدة السّورية، وذلك لأسباب ثلاثة منها:

١- إنّ الدولة الجديدة جعلت منهم أقلية، وهم الذين كانوا جزءًا من الأكثرية المسلمة الحاكمة في العهد العثماني.

٢- إنّهم كانوا يتمنون بعد الانسلاخ عن الدولة العثمانيّة الانضمام إلى دولة عربيّة برئاسة الأمير فيصل، تضم سوريا الكبرى أي سوريا الحاليّة ولبنان وفلسطين والأردن والعراق.

٣- إنّهم كانوا رافضين للانتداب الفرنسي على أساس أنّه حكم دول[14].

لم تعترف الحركة الوطنيّة السورية، وممثليها في لبنان من الزعماء بالكيان اللبناني أثناء المفاوضات بين الحكومة الفرنسيّة، والحركة الوطنيّة السّورية في مطلع الثلاثينات. فاشترطت فرنسا أن تسلّم تلك الأخيرة بالكيان اللبناني لقاء توقيع معاهدة تعترف فيها باستقلال لبنان بتاريخ٢٢ تشرين ثاني ١٩٤٣. بعد ذلك دعم لبنان نفسه بمشاركته بتأسيس هيئة الأمم سنة ١٩٤٥ وجامعة الدول سنة ١٩٤٧.

المرحلة الثالثة: عهد الاستقلال (١٩٤٣-١٩٩٠)

بعد استقلال لبنان أصبحنا أمام نوع جديد من الهجرة، خاصة ما بين الخمسينيات والسّبعينيات، حين توافد عدد كبير من أهل الجنوب اللبناني إلى أفريقيا، وبذلك استطاع أبناء الجنوب (أبناء جبل عامل) تحسين أوضاعهم وأوضاع مناطقهم. بلغ عدد المهاجرين ما بين ١٩٤٥ حتى منتصف الخمسينيات ٣٥٠٠ الى ٣٨٥٠ مهاجرًا سنويًا، وذلك مع ميل للإنخفاض في النصف الثاني من الخمسينيات بسبب الازدهار الاقتصادي الذي عرفه لبنان في هذه الحقبة[15].

وقد أسهم الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والإصلاح الإداري، ما بين عامي ١٩٦٢-١٩٦٨، في تدني الهجرة، لكن بعد ذلك تسارعت بمعدل سنوي قدره ١٠٢٠٠ مهاجر سنويًّا، وهكذا وصل صافي الهجرة إلى حوالى ١٣١.٠٠٠ شخص خلال الحقبة١٩٥٩-١٩٧٤. وكانت وجهتها البلدان العربية، ودول الخليج بشكل أساسي بسبب الصناعة النّفطيّة التي ظهرت والأجور المرتفعة التي رافقتها، وبلغ عدد المهاجرين إلى الدول العربيّة عشية الحرب الأهليّة ٥٢.٧ مهاجر، توجه نصفهم تقريبًا ٧٤،٨ بالمئة إلى الكويت، و٢٠.٧ في المئة إلى ليبيا، ١٥.٢ في المئة إلى السّعودية، ١٤.٨ في المئة إلى الإمارات المتحدة، وامتازت هذه الهجرة بخلاف سابقاتها بأنّها هجرة أدمغة طالت المتعلمين واليد العاملة المتخصصة وأبناء المدن، ولم تفرّق بين الطوائف، ولم تكتسب صفة الهجرة الدّائمة، بل بقيت مؤقتة ومرحليّة لكون حياة المهاجرين العائليّة، ومعظم استثماراتهم الاقتصادية والاجتماعيّة بقيت متجذرة في لبنان، واستمرت الهجرة إلى غرب أفريقيا وأميركا الشّمالية، وبين ١٥ الى ٢٠ بالمئة من المغتربين يتمتعون بأحوال جيدة، فيما يعيش ستون بالمئة بكرامتهم، ويعاني الباقون من فقر وعوز مدقعين[16].

وفي السّبعينيات ارتفع عدد المهاجرين من لبنان إلى ما متوسطه ١٠٠٠٠ شخص سنويًا بين العامين ١٩٧٠ و١٩٧٥.

أمّا المدّة الواقعة بين (١٩٧٥ و١٩٩٠) وهي حقبة الحروب، وكانت أيضًا حقبة تخبُّط في الاقتصاد العالمي مع تراجع في معدَّلات النّمو بالمقارنة مع الحقبة السّابقة (١٩٥٠-١٩٧٥). ولقد أصاب هذا التّراجع اقتصاد السّوق في أوروبا الغربية، وأميركا الشمالية وأوستراليا ونيوزيلندا واليابان، وكذلك دول «الجنوب» كأميركا اللاتينية (أزمة الدّين)، وأفريقيا. أمّا آسيا (ما عدا اليابان) فكانت المنطقة الوحيدة التي أصابت نموًا أسرع في هذه المدّة، مما كانت عليه في الحقبة ما بين العامين ١٩٥٠ ١٩٧٣، ومن ضمنها البلدان العربيّة النّفطيّة (العراق ودول الخليج والجزيرة العربية). لقد بلغت أعداد المهاجرين في منتصف الحرب الأهليّة ثلاثة ملايين ونصف المليون، فيما وصل العدد بعد الحرب إلى ما يزيد على ٦ ملايين، وعليه فإنّ ٣٧% من الهجرة اللبنانيّة حصلت بعد العام (١٩٩٠)[17].

هذه الهجرة التي تتوجَّه أساسًا نحو دول النّفط العربي على الرّغم من تأثرها بالأحداث اللبنانيّة ١٩٧٨ ونموها للأسباب نفسها في الثّمانينيات، باتت محكومة أيضًا بالوضع الاقتصادي في الخليج، إذ اندلعت حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران

بين العام ١٩٨٠-١٩٨٨ فخفَّضت فرص العمل أمام اللبنانيين في هذه المنطقة، فوجّهوا هجرتهم أكثر نحو بلدان الأميركتين وأوروبا الغربية وأفريقيا وأوستراليا. ويشكّل عدد اللبنانيين الذين غادروا لبنان خلال الحروب في الداخل بين العا١٩٧٥ و١٩٩٠٩٠ حوالي ٩٠٠٠٠٠ شخص[18].

المرحلة الرابعة (١٩٩٠-٢٠١٨)

بعد العام ١٩٩٠ وحتى يومنا هذا فاق عدد المهاجرين المليوني شخص، وقد ترابطت هذه الهجرة مع انهيار النّمو الاقتصادي الذي ظهر في لبنان بعد العام ١٩٩٤ بسبب السياسات الماليّة والنّقديّة والتّجاريّة التي اعتمدتها الحكومات المتتالية منذ العام ١٩٩٣إذ انهارت نسبة النمو الاقتصادي من ٨% العام ١٩٩٤ حتى صفر بالمئة ٢٠٠٠، ومع نمو سلبي بنسبة ناقص ٠،٥% العام ٢٠٠١، وارتفع عدد المهاجرين من ٥٦.٧٥٤ العام ١٩٩٤ إلى ٢٧٦.٦٧٦ العام ١٩٩٩ ٢٥٩.٢٩٢ العام ٢٠٠١. ومنذ العام ١٩٩٥، يفرغ لبنان من الكفاءات إلى المهجر.

لكن بصرف النظر عن التّركيبة الطائفية للهجرة، فإنها إضافة إلى قلّة الزيادة السكانيّة تسببت في تراجع عدد سكان البلاد في كثير من الأوقات، فقد تراجع عدد السكان اللبنانيين من ٣،٦١٦٥٢٥ العام ٢٠٠٧ إلى ٣،٤٣٣٢٨٦ مقيمًا العام ٢٠١٢، أي بتناقص ١٨٦،٢٣٩نسمة، وإذا أضيف إلى هذا الرّقم الأخير حاصل رصيد الولادات، والوفيات خلال المدّة نفسها٢٠٠٨-٢٠١٢، البالغ ٣١٠،٧٨٦ شخصًا لتدنّى عدد السكان بحدود ٤٩٧،٠٠٧ نسمة.

تسببت في المقابل الأزمات المحيطة بلبنان في زيادة عدد المقيمين من غير اللبنانيين بدءًا من نكبة فلسطين وصولًا إلى الأزمة السورية، الأمر الذي يخشى معه كثير من اللبنانيين من أنه بعد النزاع القديم المتجدد على التركيبة الديموغرافيّة بين المسلمين والمسيحيين، فإنّ الخوف الحقيقي هو من الوجود غير اللبناني خاصة في ضوء عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين والسوريين إلى ديارهم[19].

المرحلة الخامسة: الهجرة الحديثة (٢٠١٩-٢٠٢٤)

يبدأ عهد الهجرة الحديثة تحديدًا بعد تراجع قيمة العملة سنة ٢٠١٩، وانفجار المرفأ ٢٠٢٠، فبتنا نسمع يوميًا أنّ شباب لبنان يتجهون بأعداد كبيرة إلى خيار الهجرة، فالأرقام تشير إلى أن عدد الطلبات في السّفارات تفوق الـ٣٨٠ ألف طلب قابلة للزيادة.الهجرة اليوم ليست كسابقاتها، فنتيجة وباء كورونا في لبنان والعالم، أصبحت مجالات العمل غير متاحة كما كانت قبل الوباء، فالمهاجرون الجدد

يتجهون إلى أقاربهم وأصدقائهم في بلاد الاغتراب، بحثًا فقط عن الأمان الاجتماعي والاستقرار والأمن المتوافر في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها. وفي آخر إحصاء ظهر أن عدد اللبنانيين المهاجرين والمسافرين منذ بداية العام وحتى منتصف شهر نوفمبر ٢٠٢١، وصل إلى ٧٧،٧٧٧ فردًا مقارنة بـ ١٧،٧٢١ فردًا في العام ٢٠٢٠ وتبيّن، أيضًا، أنّ عدد اللبنانيين الذين هاجروا، وسافروا من لبنان خلال الأعوام ٢٠١٨- ٢٠٢١ قد وصل إلى ١٩٥،٤٣٣ لبنانيًّا.

كما تقف الأزمة الاقتصاديّة والماليّة والمعيشيّة التي يشهدها لبنان، وراء ارتفاع أعداد المهاجرين والمسافرين بحثًا عن فرصة عمل يفتقدونها في وطنهم، أو عن خدمات حياتية أساسية أصبحت شبه معدومة من الكهرباء والمياه والصحة والنظافة»[20]. ولوحظ العام ٢٠٢٢ أنّ العراق يستقبل «اللبنانيين بتأشيرة دخول على المطار» وبين يونيو/حزيران ٢٠٢١ وفبراير/ شباط ٢٠٢٣، دخل أكثر من ٢٠ ألف لبناني العراق، وفق السلطات، من دون احتساب الزّوار الذين يأتون إلى النّجف وكربلاء. لهذا باتت بغداد المثقلة بالأزمات وجهة مفضلة للعديد من اللبنانيين[21].

ب- معاناة المهاجرين الأوائل: لم تكن هجرة اللبنانيين الأوائل رحلة مفروشة بالورود والياسمين، إذ عانى هؤلاء الكثير قبل أن يثبّتوا أقدامهم في بلدان الانتشار. فالانسلاخ عن الوطن بحد ذاته ليس أمرًا سهلًا، ولم يأتِ نتيجة ترف من المهاجرين بل بفعل أوضاع سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة صعبة لا تحتمل. وخلال مغادرتهم أرض الوطن عبر مرفأ بيروت على الأغلب تعرضوا للكثير من الاستغلال على أيدي سماسرة بلا ضمير أغلبهم من اليهود، إذ يقول الكاتب سليمان البستاني في كتابه عبرة وذكرى إنّه: «لو حوكم ولاة بيروت في ذلك الزّمان على ما كانوا يؤلمون به أولئك المهاجرين البؤساء، وما يبتزونه من أموال بواسطة أو بأخرى يوم سفرهم أو حتى يوم عودتهم لحكم عليهم بالسّجن المؤبد».

فلقد كان السّفر عبر البواخر في حدّ ذاته رحلة معاناة لا توصف (أوستراليا في أواخر القرن التاسع عشر) كانت الرحلة الى أوستراليا صعبة وشاقة، وتتطلب بنية قوية للصمود إذ إنّ أغلبها صغيرة الحجم بطيئة الإبحار، وقد أطلقوا عليها اسم دوارة لأنّها كانت ترتد على أعتابها الى المرفأ الذي انطلقت منه أضف إلى غياب وسائل الراحة كلّها وتقلبّات الطقس صيفًا وشتاء، الى سوء معاملة البحارة لهم، إذ كانوا يسلّطون عليهم خراطيم المياه السّاخنة لقمعهم فمن يسعفه الحظ

في الوصول بعد رحلة تستمر ستة أشهر، ينتظره على الشّاطئ حجز في مركز صحي لمدة أربعين يومًا، فإن نجا يدخل البلاد ويعاني الأمرين لكي يبدأ عملًا يجني فيه قوته[22] . وفي الطرقات غير الآمنة يوجد قطاع الطرق الذين ينقضّون عليهم كالقدر المستعجل فيسرقون أموالهم، وينهبون ما يحملونه معهم من مقتنيات، ومن كان يمتنع منهم عن الانقياد يتعرض للضرب والتهديد، وقد أوردت إحدى المجلات الأرجنتينيّة[23] العام ١٩٠٩ أنّ مجموعات من الهنود أقدمت على خطف ١٣٠ مهاجرًا قتلتهم، وأكلت لحومهم بعد أن استولت على متاعهم.

ولدى وصولهم الى البلدان التي قصدوها تستقبلهم الأمراض المعدية، والخبيثة في غياب أبسط وسائل التطبيب والعلاج، وذلك بسبب تبدل المناخ، خاصة في أفريقيا وأميركا الجنوبية، وكانت الملاريا والحمى الصفراء أخطر أنواع هذه الأمراض، ما أودى بحياة الكثيرين منهم أو إصابتهم بأمراض مضنية. ففي العام ١٩٠٠ قتل الوباء ٤٥ مهاجرًا من أصل مئة، وتوفى ثلاثون آخرون في العام ١٩٢٦.

وبعد تلك الصعوبات التي واجهت معظم من بقي منهم على قيد الحياة، تبدأ رحلة أخرى لا تقلّ عذابًا وإهانة وبؤسًا من التي سبقتها وهي رحلة العمل ولقمة العيش المغمسة بالعرق والدم. فلقد كان يبدأ يومهم في الصباح الباكر كتجار كشّة[24] يجهلون لغة البلاد التي يأتونها، فيلاقون ضروبًا من الشقاء ويكابدون أنواعًا من شظف العيش. كان الواحد منهم يحمل صندوقًا خشبيًّا صغيرًا فيه طرائف وبضائع غريبة من البلاد المقدسة وقطع قماش مطرزة. فيجتازون الشّوارع والطرق باحثين عن البيوت ومتحملين الحر والبرد والمطر، مزوّدين أنفسهم خبزًا وجبنًا وموزًا ليأكلوا الوجبة الوحيدة التي كان في إمكانهم تناولها. اجتازوا المناطق من الغرب إلى الشّرق ومن الشّمال إلى الجنوب، ومرّوا في الضواحي والمدن الدّاخليّة والمزارع وقلب الغابات والسهول النائية، وقطعوا سيرًا على الأقدام أو على ظهور الخيل طرقًا يتصاعد منها الغبار أو موحلة. واجهتهم مخاطر كثيرة منها وعورة المناطق وقطّاع الطرق، والحيوانات المفترسة، واعتدى عليهم اللصوص، فخسروا رفاق درب، وتحملوا شتّى أنواع العقبات من تعديات وإغلاق الأبواب في وجوههم وغيرها.واضطروا إلى الفرار من فوهات بنادق المزارعين التي وجهت إلى صدورهم، والهرب من وجه كلاب مسعورة تطاردهم[25].

وعلى الرّغم من أن المهاجرين الأوائل في حقبة عهد المتصرفيّة، كانوا بمعظمهم

من المسيحيين اللبنانيين الذين هاجروا الى مجتمعات مسيحيّة كما في الولايات المتحدة الأميركيّة، أميركا الجنوبيّة وأوستراليا إلّا أنّ تلك المجتمعات لم تتعامل معهم من موقعهم الدّيني، وإنما تعاطت مع هؤلاء بالكره والحقد نتيجة الحروب التي وقعت بين الشّرق الإسلامي والغرب. وعلى هذا الأساس تعاطت الصحافة في أميركا الجنوبية خصوصًا في الأرجنتين والأورغواي وتشيلي وأوستراليا مع المهاجرين اللبنانيين بآزدراء وعدم تقبل وجودهم[26].

ولم تسلم أزياء المهاجرين البالية من سخرية ألسنة المنتقدين وأقلامهم، والأصعب من ذلك أن هؤلاء المهاجرين انقادوا الى خداع السماسرة ومعظمهم من اليهود، وارتادوا الحوانيت الخاصة بالملابس المستعملة، ونظرًا الى ضيق مجال الاختيار وضرورة الاقتصاد لم تكن ترعى في انتقاء هاتيك الملابس أحكام التناسق، والتّساوق أو حسن الهندام لكن الاستمرار والإصرار على النّجاح حوّل الضّعف فيهم الى قوة والجهل الى التّصميم على النّجاح[27]. والطرقات التي ارتوت من عرقهم ودمائهم وأبواب المنازل التي صدت، تحولت إلى مدارس جوالة لهم وابتكروا بدقة ملاحظاتهم، وذكائهم لغة خاصة بهم كانت حروفها من العربية وطرق لغيها بالإنكليزية.إذ كانوا يدونون خلال تجوالهم بالحرف العربي العبارات الإنكليزية التي يسمعونها، وقد أطلق على تلك المدارس الجوالة تعبير "مدرسة الطريق"[28].

ومع اختراع الطائرات والوسائل الأخرى الحديثة، باتت رحلاتهم أكثر راحة لكن المعاناة لم تتوقف في بلدان الاغتراب إذ إنّها اتخذت وجها آخر ومرحلة أخرى، إذ عاش المغتربون في صراعات سياسية لا علاقة لهم بها لكنها كانت تنعكس عليهم وعلى مورد رزقهم. فقد شهد القرن العشرون الكثير من الثورات والانقلابات العسكريّة في الكثير من البلدان، كان بعضها يدّمر متاجر المغتربين فيضطرون من جديد للبدء من الصفر. ففي بلدان أفريقيا وأميركا اللاتينية تعرض اللبنانيون لاعتداءات موصوفة على حقوقهم في غياب دولة ترعى شؤونهم، وتتابع قضاياهم على الرغم من وجود سفارات لبنانيّة في هذه الدول. وقد أقرت بعض البلدان قوانين صارمة نالت ما نالت من تعب اللبنانيين ومورد رزقهم. وبعد ١١ أيلول ٢٠٠١ فرضت على المهاجرين في الولايات المتحدة إجراءات قاسية طالت المغتربين اللبنانيين، ولاحقت آخرين تعرضوا لمضايقات شديدة[29].

الفصل الثاني: موجات الهجرة وأسبابها

أ- موجات الهجرة:

الهجرة الى مصر: تميزت طلائع الهجرة اللبنانيّة الحديثة إلى مصر بعوامل خاصة افتقرت إليها الهجرات الأخرى المتجهة نحو قارتي أميركا وأوستراليا، ومنها العوامل الجغرافيّة والتّاريخيّة والثقافيّة التي تشكل قاسمًا مشتركًا بين مختلف الدّول العربيّة ولا سيما بين لبنان ومصر، فتحكمت هذه العوامل بالاتجاهات الأساسيّة لهجرة أعداد كبيرة من سكان جبل لبنان نحو أرض الفراعنة، حيث سلكت موجات الهجرة أربعة اتجاهات رئيسة نحو دمياط، الاسكندريّة، منطقة قناة السويس والقاهرة ومنها إلى مختلف المناطق المصرية وباتجاه السودان[30]. واستقر معظم المهاجرين في وادي النيل (مصر والسّودان)في نقاط جذب حيوية هي القاهرة، الاسكندرية ومدن قناة السويس التي شكلت مثلثًا سياسيًا- ثقافيًّا- تجاريًّا كان مسرحًا لاستقرار جاليّة لبنانية كبيرة وعريقة أدّت دورًا مهمًّا في الحياة المصرية[31]. وشكلت مدينة دمياط الواقعة على فرع النيل الشّرقي نقطة اتصال بين مصر ولبنان، وربما كان الموارنة قد وصلوا إلى هذه المدينة البحرية واستوطنوا فيها في القرن السادس عشر[32]، كما أنّ الدّلائل الأولى للهجرة تؤكد وجود أعداد من مهاجري بعلبك وصور وصيدا ودير القمر وبيروت[33]. ويفيد إحصاء لمدينة دمياط للعام ١٨٠٩ أنّ المهاجرين اللبنانيين الأوائل في مصر كانوا في غالبيتهم المستحقة من خارج إمارة جبل لبنان حتى مطلع القرن التاسع عشر[34]، ولقد كانوا يقومون بخدمات جلى في حقول الطب والصيدلة والإدارة الحكوميّة المدنيّة منها والعسكرية[35] حتى أنّ بعض الموظفين الإنكليز الكبار كانوا يقولون :»لقد كان باستطاعتنا احتلال البلاد، ولكن لم يكن باستطاعتنا الاحتفاظ بها لولا هؤلاء السّوريين واللبنانيين». أمّا المهاجرون منهم الذين اشتغلوا في الحقل الفكري - الأدب والصحافة والعلم- فلم يقتصر أثرهم في مصر وحدها بل تعداها إلى سائر الأقطار العربيّة. وفي الواقع أنّ الصحافة -وكان للبنانيين فيها نصيب كبير - بعثت الروح العربيّة من جديد،وعملت على تحرير الشّعوب العربيّة من القيود التي كانت تقيدها بها حكوماتها، وخلقت الحركة الأدبيّة العربيّة الحديثة وعرّفت الناس إلى مباديء القوميّة[36]. وكان لجريدة الأهرام زعامة عربيّة وكان مؤسساها، ومحرراها لبنانين هما سليم تقلا وأخوه بشارة، وهذه الجريدة لا تزال من أكبر الصحف العربية

انتشارًا. وكذلك اللبناني جرجي زيدان الذي هاجر إلى مصر من قرية عين عنوب كصحفي، وأديب ومؤلف أقدم الكتب في التاريخ العربي على أسس من النّقد العلمي الحديث، ودار الطباعة والنشر التي لا تزال إلى يومنا هذا من أكبر دور النّشر في الشرق[37].

وفي أعقاب أهل الفكر الذين هاجروا الى مصر من لبنان، وسوريا جاء التّجار وأصحاب الأعمال فوجدوا في مصر وطنًا ثانيًا. وفي سنة ١٩٠٧ كانت ثرواتهم تقدر بخمسين مليون ليرة إنكليزية أي عشر الثروة القوميّة في مصر[38].

وقد اقترنت هجرة الشّوام إلى مصر طيلة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بثلاث صفات متلازمة: العائليّة، المناطقيّة، والطائفيّة[39]، فكانت أغلب طائفة الروم الارثوذكس في طنطا من مهاجري حمص وأكثر أفراد الطائفة المارونيّة من أهل بكفيا وجوارها[40]. وقددلت الإحصاءات اللبنانيّة الرّسميّة حتى العام ١٩٥٢ أنّ عدد اللبنانيين في مصر بلغ ثلاثين ألف نسمة.

الهجرة الى البرازيل:

يشير بعض علماء الآثار والتاريخ إلى أنّ الفينيقيين، وصلوا قبل كولومبوس إلى القارة الأميركيّة، والبرازيل تاركين العديد من الكتابات الحجرية ومن بينها تلك التي حفرت في «حجر غافيا في ريو دي جانيرو، وتشكل أول مستند حول ذلك. وقد توصل المؤرخ البرازيلي برناردو إلى الاستنتاج أن حجر غافيا هو فينيقي، وأنّ الكتابات فيه قد حفرت في عهد جيثابعل ملك صور (لبنان) بين العامين ٨٨٧ و٨٥٦ قبل الميلاد، أو خلال حكم باديزير بين العامين ٨٥٦ و٨ ٥٠ قبل الميلاد، وتتحدّث وثائق تاريخيّة عن العرب في حملة بدرو ألفاريس كابرال التي اكتشف خلالها البرازيل ال١٥٠٠. وثمّة مستندات تشير إلى أنّ قباطنة البحار البرتغاليين ومن بينهم كابرال كانوا من العرب، وكانت المراكز البحرية في ساغر وبالوس (من حيث أبحر كريستوف كولومبوس) والبندقيّة تستعمل خرائط بحريّة عربيّة، وذلك لكون العرب بحارة ممتازين يجيدون معرفة علم الأفلاك. من هنا القول المأثور أنّ "العرب ولدوا في البرازيل مع اكتشافها"[41].

وثمة وثائق أخرى تعود إلى مرحلة استعمار البرازيل، تؤكد مجيء العرب إليها في مرحلة الاستعمار قادمين من البرتغال أو من أفريقيا. وقد كانوا يُعدّون «أجانب أصدقاء يساعدون البرتغاليين على استعمار الأراضي الواقعة ما وراء البحار». وثمة روايات تقول إنّ العرب وصلوا إلى البرازيل العام ١٥٤٧ برفقة الحاكم، وباشروا الإقامة وفتح المتاجر.

ويـروي الـمـؤرخ أدولـفـو بـيـزيـرا دي فينيزيس أنّ تاجرًا لبنانيًا[42] في ريو دي جانيرو ومالك الأراضي في براينا قد قدّم منزله إلى ملك البرتغال دون جوان السّادس الذي قدم إلى البرازيل من البرتغال. وبما أنّ منزل ذلك اللبناني كان واحدًا من أكبر البيـوت الـجـديـرة بالملك حوّلها بصورة نهائيّة إلى القصر الامبراطوري البرازيلي. ثـم أطـلـق عـلـى الـمـكـان اسـم «باسو دي سـان كريستوفاو» حيث ولد دون بدرو الثاني. أمّا اليوم فهو مقر متحف «كينتا دا بوافيستا»[43]

ويؤكد بعض المؤرخين اللبنانيين أنّ في القرن ١٧ كانت اللغة العربيّة محكيّة في شوارع ريو دي جانيرو وباهيا ومناطق أخرى، من العبيد الأفارقة، أو القادمين من مناطق مسلمة وفي القرن ١٨ سُجل قدوم بعض العرب إلى مناطق برازيلية».كل ذلك كان قبل استقلال البرازيل بشكل رسمي، إلّا أنّ البلاد التي استقلّت العام ١٨٢٢، ومع وصـول الامبـراطـور البرازيلي دوم بيدرو الثاني في القرن ١٩ بدأت مرحلةٌ مختلفة في العلاقة مع العرب، إذ اهتم الامبراطور بتعلم اللغة العربية قراءة وكتابة، وشرع في ترجمة رواية ألف ليلة وليلة إلى البرتغاليّة، وذلك لأنّه أحب تعلم اللغات المحكية في بـلاده، وكانت العربيّة إحداها وفـي العام ١٨٥٨، وُقِّعت معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة البرازيليّة العثمانيّة التركيّة من امبراطور البرازيل دوم بيدرو الثاني ملك الكنتارا، والسّلطان العثماني عبد المجيد الأول. سهّلت هذه المعاهدة تدفّق التجّار الأتـراك والعرب والأرمـن واليونانيين إلى البرازيل وفي عاميّ ١٨٧١ و ١٨٧٦، زار دوم بيدرو الثاني بلاد الشام، ووجد في سوريا وجبل لبنان وفلسطين. ومصر الامبراطور المطّلع على الثقافة واللغة العربية، جعل الصّحف العربية في ذلك الوقت تكتب عن زيارته وعن البرازيل التي جذبت المزيد من العرب إليها.

بعد زيـارة الامبـراطـور، بـدأت البواخر تنقل العرب في رحلات طويلة إلى البرازيل، وتحديدًا إلى ميناء مدينة سانتوس الشهير عـلـى سـواحـل ولايـة سـاوبـاولـو، ووسـط ساوباولو العاصمة، استقر معظم العرب البارعين في التجارة، ومن تجارة الشّنطة، بـدؤوا بـتـأسـيـس مـتـاجـر لـهـم فـي الـحـي الملاصق لشارع «٢٥ مارس».

وبالمصادفة، كان «٢٥ مارس» يرمز إلى ذكرى التّوقيع على أول دستور برازيلي العام ١٨٢٤، وتحوّل المكان مع السّنوات إلى ما يعرف اليوم بأكبر حي تجاري في قارة أميـركا اللاتينيّة بأكملها، وشـاع تسميته «بحيّ العرب»، لتأثيرهم الكبير. هذا التأثير ليس في التّجارة فحسب بل في مختلف المجالات الأخرى إذ برزت أدوارهم اللامعة،

وتميزهم في مجالات الطبّ من خلال تأسيسهم عددًا من المستشفيات، أبرزها «المستشفى السّوري اللبناني»، الرائد في الطبّ على مستوى البرازيل والقارة اللاتينية بأسرها، وأسسوا نوادٍ رياضيّة عربيّة كالنّادي السّوري لكرة القدم، ونادي جبل لبنان، وغيره.

ووصل نجاحهم في البرازيل إلى تقلّد مناصب مختلفة في السياسة كرؤساء بلديات، وحكام ولايات وأعضاء في البرلمان، ووزراء، ورؤساء البرلمان، ونواب لرؤساء الجمهورية إلى أن تمكن الرئيس ميشال تامر من تقلد منصب الرئاسة العام ٢٠١٦، بعد إسقاط الرئيسة السّابقة ديلما روسيف عبر البرلمان في هذه المجالات كلّها وأكثر برز فيها المهاجرون، ليقدموا نموذجًا عن قدرتهم بالاندماج في الدّول الجديدة مع التأثير الفعلي فيها وتقديم نماذج وقصص نجاح لا تنتهي[44].

ويحيي اليوم اللبنانيون في البرازيل الذكرى ١٤٠ لهجرتهم[45] إليها، بعد أن باتوا يشكلون الجاليّة الثانية في العدد، بتعداد يفوق ضعفي عدد سكان لبنان.

الهجرة الى أميركا: تجمع المراجع والدراسات التّاريخيّة على أنّ القارة الأميركيّة كانت قِبلة الهجرة والاغتراب للبنانيين في الحقبة التأسيسيّة الأولى[46]. وتؤكد هذه المصادر أنّ بعض المهاجرين اللبنانيين اكتشفوا في أواخر العقد السّابع من القرن التاسع عشر أميركا الشّمالية. وكان قد سبقهم البعض إلى شواطىء الأطلسي وفي طليعتهم اللبناني أنطوان بشعلاني من صليما الذي هو أول عربي يصل إلى الولايات المتحدة العام ١٨٥٤[47]، وكان عمره ٢٧ سنة وبعد سنتين من وصوله توفى في نيويورك[48] وبمناسبة الذكرى المئوية لوفاة أول مهاجر الى أميركا، كانت قد أعلنت الجمهورية اللبنانيّة أن سنة ١٩٥٥ ستكون سنة « عودة المهاجرين وأعدّت برنامجًا حافلًا بالبرامج لاستقبال المهاجرين العائدين إلى وطنهم الأول.

غير أنّ الهجرة اللبنانيّة لم تتخذ شكلًا خطيرًا إلّا في أوائل العقد التّاسع من القرن التّاسع عشر حيث تدفقت إلى القارة الأميركيّة في عهد المتصرفيّة خصوصًا من قرى لبنان الأوسط(مقاطعة جبل لبنان) وكانت غالبيتهم من المسيحيين. وفي السنوات الواقعة الواقعة بين ١٩٠٠-١٩١٤ انخفض عدد سكان الجبل عن طريق الهجرة الى زوايا الأرض بمعدل خمس وعشرين بالمئة أيّ مئة ألف مهاجر اي ثلث سكان جبل لبنان في مقابل ٩٢ ألفا إلى الإرجنتين و٩٣ ألفا إلى البرازيل. وقلّ أن ترى بلدة أو قرية من قرى لبنان البالغ عددها ١٦٠٠ قرية ليس فيها بيت مسقوف بالقرميد الأحمر. والشّائع في القرى اللبنانيّة

أنّ صاحب البيت المسقوف بالقرميد الأحمر يجب أن يكون قد جمع ثروة في أميركا. ويقدر عدد المهاجرين اللبنانيين أكثر من ربع مليون نسمة[49].

وشملت الهجرة بلدانًا عديدة متفرقة في العالم: كندا، أوستراليا، مكسيكو، نيوزيلندا، أفريقيا، وجزائر الهند الغربية والفيليبين، كان معظمهم فقراء يجهلون لغة البلاد التي يأتونها، يبدأون عملهم كبائعي كشة وقد يصبح أحد هؤلاء الباعة المتجولين بعد حين تاجرا يستورد ويورد وينشيء المكاتب التّجارية في العواصم الكبيرة في مختلف القارات[50]. ولم يكن بالأمر الصعب على التاجر المهاجر إلى نيويورك أن يوجد علاقات تجارية بينه وبين تاجر آخر. وأنّ الفائض من السّكان المسيحيين هاجر إلى الغرب، وهكذا وجد الفائض من السّكان الدروز في حوران موطنًا ثانيًا. أمّا الهجرة بين المسلمين فعلى مستوى صغير جدًا[51].

وكان على المهاجرين الأوائل أن يعيلوا أنفسهم، ويرسلوا بعض المال لإعالة أهلهم في لبنان. وقل جدًا أن يهمل المهاجر أهله في الوطن الأم أو أن يقطع علاقاته نهائيًّا بوطنه. وحسب إحصاءات الحكومة اللبنانيّة ١٩٥١-١٩٥٢ نجد أن ما بعث به المهاجرون اللبنانيّون من مال إلى المعاهد الخيرية، والدّينيّة والتربويّة بلغ ثمانية عشر مليونًا من الدولارات، وما أرسلوه إلى الأهل والأصدقاء بلغ اثنين وعشرين مليون دولار. وتُعدُّ الحكومة اللبنانيّة الدخل الذي يبعث به المهاجرون إلى أهلهم والذي يعادل الدّخل الذي يعود به موسم الاصطياف على البلاد أنّه من المداخيل الرئيسة غير المنظورة. ويعدُّ اللبنانيون أنّ لبنانهم شطران: شطره المقيم وشطره المغترب ووزير خارجيّة لبنان يعرف بوزير الخارجيّة والمغتربين[52]. وغدا المهاجرون العمود الفقري الذي قامت عليه الجاليات اللبنانيّة التي أدّت دورًا بارزًا في حياة المجتمع الأميركي، بما قدمته من رجال ونساء في مختلف الحياة الاجتماعيّة والاقتصادية والسياسيّة والثقافية والعلمية. خصوصًا أنّ مرحلة الهجرة الأولى شهدت تدفق الأدباء اللبنانيين إلى القارة الأميركية، ففي نيويورك تأسست حلقة أدبيّة كان يرأسها جبران خليل جبران(تُوفى ١٩٣١) وأمين الريحاني (تُوفى ١٩٤٠) كان لها الأثر البعيد في أرجاء العالم العربي جميعه. كان جبران فنانًا وشاعرًا متصوّفًا، لنثره وشعره أثر في تحرير اللغة العربيّة من بعض جمودها وقسوتها. وقد أصبح زعيم حركة أدبيّة وله أتباع يقلدون أسلوبه، ولكنهم قصروا دونه فكرة وروحًا، وكان لكتاباته في الإنكليزية وترجماتها الى لغة أوروبيّة أخرى صدى استحسان عند جمهور

القراء في الغرب[53]. وتبعهما ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ومخائيل اسكندر وعبد المسيح حداد. وهاجر جميل معلوف العام ١٨٩٦ وأسهم في تحرير جريدة الأيام التي كانت أول جريدة عربيّة سياسيّة مصورة في أميركا. وأيضًا الشاعر القروي رشيد سليم الخوري العام ١٩١٣ الذي أسس مع فوزي المعلوف العام ١٩٢١ وأدباء آخرين جمعيتين أدبيتين»الرابطة القلميّة «في أميركا الشّمالية و»العصبة الأندلسيّة»في أميركا الجنوبيّة[54].

الهجرة الى أفريقيا: لم تأخذ الهجرة الى أفريقيا بالتزايد إلّا منذ العقد الأخير من القرن التّاسع عشر، إذ بدأ المهاجرون يقصدونها في إبان موجات الهجرة اللبنانيّة لظروف مختلفة اقتصاديّة أمنيّة وسياسيّة.وكانت المستعمرات الفرنسيّة فى أفريقيا أولى محطات الهجرة اللبنانيّة، خصوصًا في «المقاطعات الأربع» التي أصبحت العام ١٨٧٠ تتمتع بحقوق المواطنة، وساعدت الاقتصاد المحلي على النّمو بسرعة وهي مقاطعات سان لويس ودكار وغوري وروفيسك. أمّا على صعيد المناطق الأفريقيّة التي خضعت للاستعمار البريطاني، وبالنظر إلى عدم احتفاظ السّلطات الاستعمارية بسجلات موثوق بها عن المهاجرين الأوائل إلى مستعمراتها، تتضارب الأخبار المتعلقة بهجرة اللبنانيين إلى غرب أفريقيا الإنكليزية، فيرى البعض أنّ أول مهاجر لبناني إلى مناطق النفوذ البريطانية وصل إلى سيراليون العام ١٨٨٠، ويرى آخرون أنّ أول موطئ قدم للبنانيين في المستعمرات البريطانيّة في أفريقيا كان منطقة ساحل الذهب (غانا) العام ١٨٧٠، والراجح أن سيراليون هي من أولى المناطق في غرب أفريقيا الإنكليزية التي شهدت هجرة اللبنانيين إليها، لأنّها كانت نقطة توقّف لكلّ السّفن المتجهة نحو مناطق المستعمرات الإنكليزية، ولقد استقر المهاجرون اللبنانيون في معظم المناطق المهمة من غرب أفريقيا، انطلاقًا من مرافئها السّاحليّة التي استقبلت المهاجرين اللبنانيين الأوائل، الذين كانوا ينتقلون من بيروت إلى مرسيليا، ومنها إلى دكار ثم كوناكري وفريتاون، ومن ثم إلى لاغوس، وكانت الرحلة تستغرق نحو ٤٠ يومًا[55]. لكن على الرّغم من التّزايد التدريجى للهجرة، فإنّ الأرقام بقيت متواضعة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ولم تعد مقتصرة على الذكور البالغين فقط، بل شملت كذلك النساء والأطفال، الأمر الذى عكس نوعًا من اطمئنان المهاجرين إلى تلك المناطق التى هاجروا إليها، وقد اتجهت تيارات الهجرة إلى ستة أقاليم خاضعة

للسيطرة الفرنسيّة هى السنغال وغينيا والسودان (مالى الحاليّة) والداهومى (بنين الحاليّة) والنيجر وموريتانيا بالإضافة إلى مستعمرتى جامبيا وسيراليون الإنجليزيتين ومستعمرة غينيا البرتغالية (غينيا الاستوائية حاليًّا).

تزايد ايقاع الهجرة اللبنانيّة نحو إفريقيا بعد سنة ١٩١٨، بفعل مجموعة من العوامل في مقدمتها أنّ الطلب على المنتجات الاستوائيّة التي تزخر بها المنطقة تزايد نتيجة لتزايد طلب أوروبا المدمرة، كما أنّ العديد من الفرنسيين ذوي المصالح فى أفريقيا الغربيّة الذين ذهبوا إلى الجبهة لم يعودوا، الأمر الذى دفع فرنسا- التي كانت قد فرضت انتدابها على لبنان آنذاك- إلى منح تسهيلات متعددة لمن يود الهجرة إلى أفريقيا الغربيّة، وأصبح اللبنانيون يتمتعون بها بوضعيّة المحميين من الجماعات اللبنانيّة إذ نجد أنّ بلاد إفريقيا تحتل المكانة الثانية بعد البرازيل بالنسبة إلى المهاجرين اللبنانيين فى العالم قاطبة. ولقد تبعت هجرة المسلمين اللبنانيين إلى أفريقيا هجرة اللبنانيين الموارنة بعد العام ١٩٢٠ وتجدر الإشارة إلى أنّ الغالبية العظمى من المهاجرين الأوائل من المسلمين إلى بلاد إفريقيا كانوا من الشّيعة ومن منطقة جنوب لبنان بالذات. وهنا أيضًا أدّى العاملان الاقتصادي والسياسي في ما بعد دورًا فى هجرة المواطنين اللبنانيين إلى أفريقيا. ذلك أن منطقة الجنوب اللبناني والتي يسكنها غالبيّة من الشيعة، تفتقر إلى الموارد الطبيعية الكافيّة التى تساعد فى سد حاجات الإنسان الاقتصاديّة، علاوة على الترتيبات الاستعمارية. هذه العوامل مجتمعة ساعدت في هجرة المسلمين الشّيعة من الجنوب اللبناني إلى العالم الخارجى، الأمر الذى تزايدت وتيرته مع الاحتلال الإسرائيلي[56].

وكما هو حال المهاجرين الأوائل الى العالم الجديد، فقد كانت التّجارة المتجولة أول نشاط اقتصادي مارسه اللبنانيون في أفريقيا الغربيّة، وقد بقي الحضور الاقتصادي اللبناني متواضعًا إلى حقبة الحرب العالمية الأولى[57]، وقد استفاد اللبنانيون من الفراغ الذي خلفه التّجار الفرنسيين الذين ذهبوا إلى الجبهة، وقد تمكنوا فيها من اللغات الأفريقية وتعرفوا على البلد، ولم يعد وجودهم مقتصرًا على المدن والمناطق القرويّة بل توغلوا فى الادغال، وهو ما ساعدهم على تحقيق نجاح سريع خصوصًا وأنّهم أصبحوا وسطاء بين الوكالات التّجارية الأجنبيّة، وخاصة الوكالات الفرنسيّة، والسّكان الأصليين، إذ كانوا يبيعون لهؤلاء المنتجات المصنعة، ويحصلون منهم على

منتجاتهم من المواد الخام للتّصدير، وقد شجعهم نجاحهم فى هذا المجال على التوسع في هذا النشاط، علاوة على اتجاه البعض إلى افتتاح محلات خاصة لبيع الجملة في المدن، واتجه آخرون إلى التّخصص في مجال استيراد المنتجات المصنعة مباشرة من أوروبا، وأصبحوا الممولين الرئيسين لمواطنيهم من تجار الجملة والتّقسيط.

وقد شهدت سنوات العشرينيات من القرن العشرين منافسة شديدة بين التّجار الأوروبيين، واللبنانيين في أفريقيا حُسِمت لصالح اللبنانيين[58]. سمح هذا النّجاح التجاري للبنانيين بتنويع مجالات تخصصهم، فالاستثمار في الصناعة الخفيفة حصل منذ الأربعينيات، وكذلك فى قطاع النقل خصوصًا نقل المحاصيل الزّراعيّة من الأدغال والمناطق القروية إلى الموانىء. غير أن القطاع المهم لجذب اللبنانيين خلال هذه المرحلة، هو الاستثمار فى المجال العقاري، وقد ساهموا بما شيدوه من مبانٍ في منح عدد من مدن أفريقيا الغربيّة خاصة دكار، وأبيدجان الشكل الذي أصبحت عليه فى الوقت الراهن، وهكذا فقد وصل عدد البنايات التى شيدوها فى دكار وحدها إلى غاية سنة ١٩٨٥ إلى ٤٠٠ بناية، وشيدوا إلى غاية سنة ١٩٩٠(٨٠٪) نصفها فى أبيدجان.

أسباب الهجرة اللبنانيّة:

- **الأسباب الاقتصادية**: سبب فصل سكان السّهول، والسّاحل عن أبناء الجبل في عهد المتصرفيّة الى إعاقة الحياة الاقتصادية بين الجانبين. هذا الى جانب الحواجز النفسيّة التي أفرزتها عوامل الخوف، والتّعصب الذي مارسه بعض سكان بيروت ضد أبناء الجبل أثناء تفقدهم لأملاكهم في تلك المدينة، أو لمتابعة مصالحهم الصناعية والتّجارة فيها، خاصة استخدامهم مرفأي بيروت وطرابلس للسفر أو العودة أو نقل البضائع[59]. ولقد كانت الزراعة المورد الرئيس لسكان الجبل حيث شكلت الأرض الزراعيّة جزءًا من شخصيّة الجبلي، وشخصية عائلته بها يثبت مركزها، ويحدد مقامها وعلى ما يملك منها تتحدد مرتبته الاجتماعيّة ومستقبله، والكارثة الكبرى للمزارع مالك الأرض كانت عندما تؤخذ منه أرضه فيخسر مرتبته، ومستقبل عائلته فيَهيم على وجهه، وتلك كانت اللوحة المحزنة التي خطها البروتوكول على جبل لبنان، فاندفع أبناؤه من أجل البقاء الى احتراق الحدود السياسيّة بحثًا في المجهول عن ملجأ وعمل يقيهم العوز فكانت الهجرة[60].

ولم يكن وضع الصناعة إلّا بأسوء من الحالة الزراعيّة. فمن افتقار الى الصناعات المعروفة في محيط المتصرفيّة الى انعدام الحرف والفنون الرائجة، واستنزاف أكثر الصناعات اليدويّة المحليّة كحياكة القطن والحرير[61]. وهذا ما انعكس سلبًا على التّجارة فاضطر الأهالي الى استيراد الحنطة، والماشية من العراق مع ما ترتب على ذلك من رسوم وتكاليف باهظة، وأصيب تصدير الحرير الطبيعي بنكبة أمام مضاربة الحرير الاصطناعي المستورد من اليابان، والصين بأسعار متدنية نسبة الى الحرير الطبيعي المرتفع الثمن والقليل الانتاج.

بالإضافة الى ذلك امتناع الدّولة العثمانيّة عن الإيفاء بتعهداتها بموجب الامتيازات الخاصة بالمتصرفيّة. وما رافق ذلك من عوامل التّضييق، ووسائله حتى أصبحت البلاد محرومة من المزايا المادية الممنوحة لسائر البلاد الشّاهانيّة[62] (حيث الاستقلال الذاتي).

قبل اندلاع الأحداث اللبنانيّة كان لبنان يتمتع بأفضل نظام خدماتي اجتماعي في المشرق العربي[63] أهّله لأن يؤدي دورًا مميزًا في مجالات التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والفكرية غير أنّ اندلاع الأحداث العام ١٩٧٥ بدّل هذا الوضع للأسوء ناهيك عن عجز الميزانيّة العامة في لبنان، والانخفاض الشّديد في مستوى النمو الاقتصادي، والارتفاع الكبير في نسبة التهرب من الضرائب. الى جانب أن الحكومات التي توالت أيام السّلم أيّ بعد العام ١٩٩٠لم تعمل على تخفيض العجز بل زاد مع الوقت، فازدادت البطالة والهدر والفساد مع عدم اعتماد سياسة اقتصاديّة واضحة تنهض بالاقتصاد من حالة الركود الذي يعيشها. بالإضافة إلى إقفال عدد كبير من المصانع، والمؤسسات الخاصة في فروع النّسيج والغزل والملابس وغيره من الصناعات التحويلية، وفي الزّراعة أكثر من ٤٠ بالمئة من الأراضي الصالحة تركت بورًا[64]. وقد تضررت القطاعات التجاريّة من غلاء التّسليف، وأسعار الطاقة وارتفاع أسعار العقارات وإقفال جزئي، أو كلي للعديد من المؤسسات التجاريّة وتشريد أجرائها وأصحابها، ودفعهم إلى الهجرة جراء افتتاح مراكز تجارية كبرى معظمها أجنبي الى جانب فتح الأبواب أمام اليد العاملة غير اللبنانيّة التي نافست نظيرتها اللبنانيّة، الأمر الذي أدى الى تراجع القطاعات الاقتصاديّة اللبنانيّة وأيضًا دفع القوى العاملة الى الهجرة[65].

- **الأسباب الجغرافيّة**: يقع لبنان في نقطة التقت عندها عبر التاريخ مختلف الشعوب، وانفرد بموقع جغرافي مهمّ

كجسر يربط الشرق بالغرب. فَرَضت عليه أن ينفتح على العالم، فساهم في خلق الشّخصية اللبنانيّة.

وبسبب موقع لبنان حيث الجبل، والبحر والسّهول الضّيقة والشواطىء الصخرية وتركيبة طوبوغرافيّته، أمسك هذا البلد بقطبي الهجرة: القطب الموجب لاستقطاب الأقليات المضطهدة المتعطشة الى الأمن والحرية، والقطب السّالب المتمثل في رغبة أبنائه بالرحيل إذ يعتقدون لسبب أو لآخر أنّهم باغترابهم قد ينتمون بحياة أفضل وظروف أنسب[66].

وتحكم هذا البلد بدور مميز بالعلاقات التجاريّة، والدّبلوماسيّة الخاصة بمنطقته، نظرًا لطبيعة أبنائه وثقافتهم، وانفتاحهم وتطور نظامهم السياسي ومرونة قوانينهم الاقتصادية التي أثّرت إيجابًا على توافد رجال الأعمال لاستثمار أموالهم في مشاريع إنمائيّة، وإعماريه اعتمدت في معظمها على يد عاملة خارجيّة ظهرت سلبيتها في ارتفاع نسبة البطالة، واتساع حركة المهاجرة لتطال أصحاب الكفاءات العالية[67].

الأسباب السياسيّة: تأثر لبنان بأحداث أمنية مباشرة منذ اجتياح إبراهيم باشا المصري لسوريا، ولبنان العام ١٨٣١ الى أحداث عامي ١٨٤١ و١٨٦٠ الطائفية الدّموية التي أدارتها أصابع الدول الكبرى يومها[68]. وبوادر حرب القرم العام ١٨٥٦[69]، وسنوات الحربين العالميتين الأولى ١٩١٤-١٩١٨[70] والثانية ١٩٣٨-١٩٤٥[71]، فالحروب الإسرائيليّة العربية في أعوام ١٩٤٨،١٩٦٧،١٩٧٣[72] مرورًا بأحداث ١٩٥٨[73] والمحاولة الانقلابية على النّظام العام،١٩٦٢ فالاجتياح الإسرائيلي عامي ١٩٧٨و١٩٨٢ الذي لا يزال لبنان يعاني نتائجه حتى اليوم بسبب استمرار العدو في احتلال قسم حيوي من أراضيه وعدم تطبيق القرارات الدّوليّة. وألأحداث الدّاخليّة الدّمويّة المدمرة، والمؤلمة التي استمرت خمسة عشر عامًا ١٩٧٥-١٩٩٠ والتي لم يشهد لبنان في تاريخه الحديث هجرة أمنيّة كالتي شهدها آنذاك، هذا بالإضافة الى الهجرة الدّاخليّة الجماعيّة الى مناطق أكثر أمنًا. والأزمات اللبنانيّة ١٩٩٢-٢٠٠٦ والتي أثنائها ما من منطقة في العالم إلّا وشهدت سيلًا من المهاجرين اللبنانيين. وكذلك خلال الأزمة التي حصلت مؤخرًا بعد تراجع قيمة العملة سنة ٢٠١٩ وانفجار المرفأ ٢٠٢٠، فلقد ازدادت أعداد المهاجرين معظمهم من العمّال، هربًا من الحرب، وبحثًا عن نجاةٍ اقتصادية. فبتنا نسمع يوميًا أنّ شباب لبنان يتجهون بأعداد كبيرة إلى خيار الهجرة، إذ الأرقام تشير إلى أنّ عدد الطلبات في السّفارات تفوق الـ٣٨٠ ألف طلب.

الأسباب الدّينيّة: نتيجة الاستعمار الطويل الذي خيم بظلمه على لبنان،

ومحيطه الطبيعي طيلة أربعماية وثلاثين عامًا ١٥١٦-١٩٤٣ وما ترتب عليه من بعث للأحقاد المذهبيّة التي تحولت إلى صدامات دموية خربت الوحدة الرّوحيّة للشّعب، فانقسم على ذاته وعلى بعضه طوائف ومذاهب متعددة الانتماءات والأهداف والاتجاهات.هذه الصِدامات الدّموية المتكررة التي وقعت في الأعوام ١٨٤٠،١٨٥٨،١٨٦٠ وما رافقها من تعديات على المحرمات، وقتل وتدمير الى توليد حالة من الخوف، والرعب بين أبناء البلد الواحد الذي تفتت روحيًّا ونفسيًّا الى بؤر متنافرة مهددة بالانفجار في أيّ وقت، دفعت العديد من الشّباب الى الهجرة بحثًا عن الأمن والاستقرار والعمل. وكان تخوف البعض في محلّه نسبيًّا إذ سجلت بعض التعديات ذات الخلفيّة الطائفيّة خاصة في الأعوام (١٨٩٨،١٩٠١،١٩٠٢)[74].

وكذلك الأعوام(١٩٥٨ و١٩٥٧-١٩٧٦ لغاية ١٩٩٠) و٢٠٠٥ و٢٠١٧ لغاية ٢٠٢٣ مبررًا كافيًّا للهجرة إلى بلاد الله الواسعة، حيث لا وجود للنعرات الطائفيّة والمذهبيّة وتعسف وعنجهية زعماء الطوائف.

- **الأسباب الاجتماعيّة**: كان المجتمع اللبناني ينقسم الى طبقتين، طبقة الفلاحين وطبقة الإقطاعيين والأسياد، فقد نما الأسياد بالبحبوحة والرخاء بينما عاش الفلاّحون بالذلّ والفقر والبؤس، إذ كانت معظم بيوتهم مبنيّة من اللَبِن وكان البيت مؤلفًا من غرفة واحدة واسعة، تتقاسمها أفراد العائلة مع مواشيهم، وأرض غرفهم من تراب مدلوك ولا مقاعد ولا كراسي. وجاءت الانشقاقات الدّينيّة والفتن الأهليّة التي جلبت الخراب والدّمار.

بالإضافة الى ذلك، تزايدَ عدد السكان، وقد قابله نقص في الموارد، وكان ذلك من الأسباب المهمّة، لا بل السّبب الحقيقي الذي أدى الى الضيق الاقتصاديّ والى الهجرة. فكثرت الأيدي العاطلة عن العمل، وعاش قسم كبير في حالات العوز والحاجة، ولم يجد اللبنانيون حلًّا لمشكلتهم الغذائيّة سوى الهجرة. ولقد ساهمت التّقنيات الطبيّة الآتية من أوروبا من تلقيح وغيره، الى ارتفاع في المستوى الصحي والى خفض في الوفيات، ما أدى الى التزايد غير المتوازن لعدد السّكان في المناطق الجبليّة.

- **الأسباب الخاصة للهجرة**:

- **مساعي المبشريّن والمُرسلين**:

نشطت حركة المؤسّسات التبشيريّة والإرساليات الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة في لبنان، في القرن التاسع عشر في مجالات عدة أهمها التعليم، فازدادت المدارس خصوصًا بعد دخول الإرساليّات الأجنبية

إلى جبل لبنان، رافق ذلك ارتفاع ملحوظ في عدد الطلاب المتعلمين والمتخرجين[75]. وشكلت إيجابيات هذه الظاهرة مشكلة فعليّة بغياب فرص العمل الدّاخليّة أمام هؤلاء المثقفين الشباب الذين وجدوا في الهجرة المجال الحيوي لتحقيق طموحاتهم، وشكّل هؤلاء في بلاد انتظارهم نواة ما صار يعرف بهجرة الأدمغة، ويرى بعض الباحثين أنّ ما لم ينل حقّه من البحث في دراسة باب الهجرة، هو أثر ودور المؤسسات التّعليميّة والطبيّة للإرساليات التبشيريّة الأجنبيّة التي عمت المناطق اللبنانيّة، وقد عملت على نشر التعليم الذي يدفع المتعلمين للتفكير برفع مستوى معيشتهم عن طريق الهجرة[76]. وعمّت المطابع وفُتحت المدارس والجامعات، لاسيما منها مدرسة الأميركيّين في بيروت العام ١٨٣٤، ثم أتبعوها بالجامعة الأميركيّة العام ١٨٦٦، ولحقهم اليسوعيّون بجامعة مار يوسف ١٨٧٥، وهي تُعدُّ اليوم من الجامعات المهمّة في لبنان والشّرق. وقد دل إحصاء العام ١٩١٤ على أنّ نسبة المتعلّمين في لبنان بلغت ٥٠ بالمئة، وهي أعلى نسبة في أيّ بلد في العالم خارج أوروبا وأميركا الشّماليّة. هذه النسبة العالية كانت سببًا آخر للتأثير في الهجرة.كما عملت على تزيين الحياة العامة في بلدان أوروبا وأمريكا أمام تلامذتها مما أثار لديهم الرغبة بالهجرة الى هذه البلدان.

- **عامل الجذب**: وفرت عوامل الجذب في مراكز المهاجر البعيدة المجالات الحيويّة الإيجابيّة لهؤلاء الشّباب، فجذبتهم الى تلك الأراضي الغريبة التي كانت في أحلامهم حيث صور المجتمعات الحرة التي يسعى أبناؤها الى العمل، والعلم وجني الثروات في أجواء بيئية وأمنية وترفيهية مثلى.

وبقدر ما كانت الحالة الاقتصاديّة في جبل لبنان دافعًا للهجرة كانت الحالة الاقتصادية المزدهرة، والنّمو الاجتماعي في سائر الأميركيتين، وأوستراليا من الأسباب الرئيسة في جذب المهاجرين واستخدامهم للحاجة إليهم في مجالات النمو الاقتصادي التي كانت تشهدها تلك الدول التي عملت على استقبال المهاجرين برحابة، وسهّلت لهم في البداية شروط الدخول إليها .

- **مساعي الدائنين ودور الوسطاء وإغـراءات السماسرة**: كان اللبناني يحاول أن يجرّب حظّه في بلد آخر علّه يتخلّص من الحالة التي يعيشها. ولكي يتدبّر ثمن بطاقة السّفر (الناولون) ومصاريف الرّحلة، يستدان مبالغ مقابل رهن ما يملك من مسكنٍ أو قطعة أرض صغيرة، ويتعهّد خطّيًّا وشفهيًّا بتسديد المال والفائدة، بعد تحقيقه أرباحًا في المهجر.إضافة الى ذلك، فالمسافر يحتاج الى كثير من المعاملات والمراجعات

وإعداد الإجازات وغيرها، فكان لا بدّ من وسيط لذلك وخاصة ليستحصل على التّذكرة العثمانيّة التي تجيز له السّفر، فالسماسرة يحثون الشباب على السّفر ويقدمون له التّسهيلات كافة، ويغالون في التّزيين والتزويق وتسهيل الأمور ويعسلون ألسنتهم بكل خلاب براق من الوعود. حتى إذا ما بلغوا بضحايهم ثغر بيروت، أنزلوهم في أماكن ليس لها من الفنادق سوى الاسم على أنّها في حقيقتها خانات قذرة. وقد كان لتأخر البواخر المقصود مورد ارتزاق لأصحاب الخانات والوسطاء .

- **رسائل المهاجرين وإرسالهم الأموال إلى ذويهم**: شكلت رسائل المهاجرين إلى أهلهم في الوطن الأم مادة دعائيّة ترغّبهم بالسّفر، وقد تضمنت معظم هذه الرسائل شرح التعليمات وأدق التفاصيل التي يحتاج إليها المهاجر عند وصوله الى الخارج خصوصًا على صعيد الإهتمام به وتسهيل أموره ومساعدته على الانطلاق.

تُقرأ الرسالة عدة مرات على مسمع حفل كبير من الناس، ثم يستتبع تلاوتها اجتماعات وتفسيرات تحرك عند بعض السّامعين روح الفضوليّة والغيرة من غِنى العالم الجديد ومجالات العمل فيه، ويندهشون من أجور المهاجرين في بلاد الاغتراب مقارنةً مع أجورهم في لبنان. وفي أغلب الأحيان تحمل هذه الرّسائل صورًا فوتوغرافية تظهر فيها ابن البلد باللباس الأجنبي المميز الذي تظهر فيه علامات الغنى والأناقة الجذابة.

وساعدت نجاحات بعض المهاجرين في الولايات المتحدة، والبرازيل والأرجنتين واوستراليا وإرسالهم الأموال الى ذويهم في الوطن الى جانب الأخبار، والروايات التي نسيت حول سوق العمل المفتوحة وأجواء العدالة والحرية، والمساواة السائدة في بلاد المهاجرة إلى تحريك الحماس للهجرة في نفوس الشّباب الرّاغب بالمغامرة وجني الثّروات والتشبه بمن سافر «وتمدن»

- **خيبات الأمل والمخاوف الشّخصيّة**: أدت دوافع عديدة الى الهجرة ويعود بعضها الى أمور شخصيّة أو عائليّة، كخلاف نشب بين عائلتين، أو بين أفراد الأسرة الواحدة، أو بين الزوج والزوجة، أو فسخ خطبة، أو خلاف مع الجيران، أو احتراق المحصول الزراعي، أو خسارة حيوانات النقل أو الفلاحة، أو أمورًا سياسيّة واجتماعيّة دفعت البعض للهرب من وجه العدالة والقانون، إضافة إلى حالات الرّعب والخوف من جراء بعض الأحداث.

الخاتمة: لم تكن هجرة اللبنانيين الأوائل رحلة مفروشة بالورود والياسمين،

إذ عانى هؤلاء الكثير قبل أن يثبتوا أقدامهم في بلدان الانتشار. فالانسلاخ عن الوطن بحد ذاته ليس أمرًا سهلًا، وهو لم يأت نتيجة ترف من المهاجرين بل بفعل أوضاع سياسية. وهناك في الطرقات غير الآمنة كان يوجد قطاع الطرق الذين ينقضون عليهم كالقدر المستعجل، فيسرقون أموالهم وينهبون بضائعهم،وعند وصولهم تستقبلهم الأمراض المعدية والخبيثة في غياب أبسط وسائل التّطبيب والعلاج ذلك بسبب تبدل المناخ، خاصة في أفريقيا وأميركا الجنوبية. وكانت الملاريا والحمى الصفراء أخطر أنواع هذه الأمراض، ما أودى بحياة الكثيرين منهم أو إصابتهم بأمراض مضنية. يبدأ يومهم في الصباح الباكر كتجار كشّة إذ معظمهم يجهلون لغة البلاد التي يأتونها، فيلاقون ضروبًا من الشّقاء ويكابدون أنواعًا من شظف العيش. واجهتهم مخاطر كثيرة منها وعورة الطرقات والحيوانات المفترسة، واعتداء اللصوص، وخسارة رفاق درب.

وعلى الرّغم من أن المهاجرين الأوائل في حقبة عهد المتصرفية كان معظمهم من المسيحيين اللبنانيين الذين هاجروا الى مجتمعات مسيحيّة كما في الولايات المتحدة الأميركيّة، وأميركا الجنوبية وأوستراليا،إلّا أنّ تلك المجتمعات لم تتعامل معهم من موقعهم الديني، وإنّما تعاطت مع هؤلاء القادمين على أنهم على الأقل دونهم في المستوى، فقد كانت الهوية التركية نقمة عليهم نتيجة لسلسلة الحروب الطويلة التي وقعت بين الشّرق الإسلامي، والغرب المسيحي والتي أدت الى مشاعر الكراهية والحقد والخوف. ولضيق مجال الاختيار وضرورة الاقتصاد لم تكن ترعى في انتقاء الملابس أحكام التناسق والتساوق. كما والطرقات التي ارتوت من عرقهم، ودمائهم وأبواب المنازل التي نبذتهم تحولت إلى مدارس جوالة لهم حيث كانوا يدونون خلال تجوالهم بالحرف العربي العبارات الإنكليزية التي يسمعونها، وقد أطلق على تلك المدارس الجوالة تعبير «مدرسة الطريق».ومع اختراع الطائرات والوسائل الأخرى الحديثة باتت رحلاتهم أكثر راحة، لكن المعاناة لم تتوقف في بلدان الاغتراب إذ إنّها اتخذت وجهًا آخر ومرحلة أخرى. حيث عاش المغتربون في صراعات سياسيّة لا علاقة لهم بها، لكنّها كانت تنعكس عليهم وعلى مورد رزقهم.

وقد شهد القرن العشرون الكثير من الثورات والانقلابات العسكرية في الكثير من البلدان، كان بعضها يدمر متاجر المغتربين، فيضطرون من جديد للبدء من الصفر. ففي بلدان أفريقيا وأميركا اللاتينية

تعرض اللبنانيون لاعتداءات موصوفة على حقوقهم في غياب دولة ترعى شؤونهم، وتتابع قضاياهم على الرغم من وجود سفارات لبنانيّة في هذه الدول. وقد أقرت بعض البلدان قوانين صارمة نالت ما نالت من تعب اللبنانيين ومورد رزقهم. فبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة فرضت إجراءات قاسية على المهاجرين طالت المغتربين اللبنانيين، ولُحق آخرون وتعرضوا لمضايقات شديدة. أمّا بالنسبة إلى موجات الهجرة فلقد سلكت بلاد عديدة منها: مصر والبرازيل وأميركا وأفريقيا الى جانب أوستراليا والمانيا وغيرها. في مصر استقر معظم المهاجرين بوادي النيل (مصر والسودان) في نقاط جذب حيوية هي القاهرة، الاسكندرية ومدن قناة السويس التي شكلت مثلثا سياسيًّا- ثقافيًّا- تجاريًّا كان مسرحًا لاستقرار جالية لبنانية كبيرة وعريقة أدّت دورًا مهمًّا في الحياة المصرية. وشكّلت مدينة دمياط الواقعة على فرع النيل الشرقي نقطة اتصال بين مصر ولبنان. ويفيد إحصاء لمدينة دمياط للعام ١٨٠٩ أن العام ١٩٥٢ بلغ عدد اللبنانيين في مصر ثلاثين ألف نسمة.

وكانت الوجهة الثانية الى البرازيل فمع وصول الامبراطور البرازيلي دوم بيدرو الثاني في القرن ١٩ بدأت مرحلة مختلفة في العلاقة مع العرب، إذ اهتم الامبراطور بتعلم اللغة العربية قراءة وكتابة، وشرع في ترجمة رواية ألف ليلة وليلة إلى البرتغالية. ووقّع معاهدة الصداقة والتجارة والملاحة البرازيلية العثمانيّة التركية مع السلطان العثماني عبد المجيد الأول. سهّلت هذه المعاهدة تدفّق التجّار الأتراك والعرب والأرمن واليونانيين. ويحيي اليوم اللبنانيون في البرازيل الذكرى ١٤٠ لهجرتهم إليها، بعد أن باتوا يشكلون الجالية الثانية في العدد، بتعداد يفوق ضعفي عدد سكان لبنان إذ يقدر عددهم حوالي نصف مليون.أمّا أميركا فكانت الوجهة الثالثة للهجرة تدفقت إلى القارة الأميركية في عهد المتصرفيّة خصوصًا من قرى لبنان الأوسط(مقاطعة جبل لبنان).وفي الحقبة الواقعة بين ١٩٠٠-١٩١٤ انخفض عدد سكان الجبل عن طريق الهجرة الى زوايا الأرض بمعدل خمس وعشرين بالمئة أيّ مئة ألف مهاجر أيّ ثلث سكان جبل لبنان في مقابل ٩٢ ألفا إلى الأرجنتين و٩٣ ألفًا إلى البرازيل. ثم إتسع نطاق الهجرة اللبنانيّة فشمل بلدانا عديدة متفرقة في جميع أنحاء العالم: كندا، أوستراليا، مكسيكو، نيوزيلندا، أفريقيا، وجزائر الهند الغربيّة والفيليبين. وحسب إحصاء السنين ١٩٥١-١٩٥٢ نجد أن ما بعث به المهاجرون اللبنانيّون من مال إلى المعاهد الخيرية والدّينيّة، والتربويّة بلغ ثمانية عشر مليونًا من الدولارات، وما

أرسلوه إلى الأهل والأصدقاء بلغ اثنين وعشرين مليون دولار. وتُعدُّ الحكومة اللبنانيّة الدخل الذي يبعث به المهاجرون إلى أهلهم والذي يعادل الدخل الذي يعود به موسم الاصطياف على البلاد أنّه من المداخيل الرئيسة غير المنظورة. ويُعدُّ اللبنانيون أنّ لبنانهم شطران: شطره المقيم وشطره المغترب ووزير خارجية لبنان يعرف بوزير الخارجيّة والمغتربين. وغدا المهاجرون العمود الفقري الذي قامت عليه الجاليات اللبنانيّة التي أدّت دورًا بارزًا في حياة المجتمع الأميركي بما قدمته من رجال، ونساء متفوقين في مختلف الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، والسياسيّة والثّقافيّة والعلميّة. خصوصًا أنّ مرحلة الهجرة الأولى شهدت تدفق الأدباء اللبنانيين إلى القارة الأميركيّة.

ولم تأخذ الهجرة الى أفريقيا بالتزايد إلّا منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر، حيث بدأ المهاجرون يقصدونها في إبان موجات الهجرة خصوصًا في «المقاطعات الأربع» التي أصبحت العام ١٨٧٠ تتمتع بحقوق المواطنة، وساعدت الاقتصاد المحلي على النمو بسرعة، وهي مقاطعات سان لويس ودكار وغوري وروفيسك. أمّا على صعيد المناطق الأفريقيّة التي خضعت للاستعمار البريطاني وبالنظر إلى عدم احتفاظ السلطات الاستعمارية بسجلات موثوق بها عن المهاجرين الأوائل إلى مستعمراتها، تتضارب الأخبار المتعلقة بهجرة اللبنانيين إلى غرب أفريقيا الإنكليزية، انطلاقًا من مرافئها الساحلية التي استقبلت المهاجرين اللبنانيين الأوائل الذين كانوا ينتقلون من بيروت إلى مرسيليا، ومنها إلى دكار ثم كوناكري وفريتاون، ومن ثم إلى لاغوس، وكانت الرحلة تستغرق نحو ٤٠ يومًا. لكن على الرّغم من التّزايد التّدريجي للهجرة فإنّ الأرقام بقيت متواضعة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد اتجهت تيارات الهجرة إلى ستة أقاليم خاضعة للسيطرة الفرنسية هى السنغال وغينيا والسودان (مالى الحالية)، والداهومى (بنين الحالية)، والنيجر وموريتانيا بالإضافة إلى مستعمرتى جامبيا، وسيراليون الإنجليزيتين ومستعمرة غينيا البرتغالية (غينيا). وكذلك في أوستراليا فلقد بدأ اللبنانيون الهجرة إليها بأعداد كبيرة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ولم يحصل مهاجري الدّفعة الأولى على الجنسيّة الأوستراليّة حتى العام ١٩٢٠ عندما صدر قانون الجنسيّة الذي سمح لكل لبناني أقام في أوستراليا لمدة خمس سنوات، أو أكثر أن يحصل على الجنسية علمًا أنّه في العام ذاته أصيبت أوستراليا بنكسة اقتصاديّة أدت الى تفشي البطالة بين أفراد الشعب، إثر ذلك بصورة

مباشرة على المهاجرين اللبنانيين فتوقّفت هجرتهم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وتشير الدّراسات الإحصائيّة إلى أن المعدل السنوي لعدد المهاجرين في الموجة الأولى بلغ حوالي ٣٠٠٠ مهاجرًا ليصل خلال الأربعين عام إلى ١٢٠ ألف. وارتفع المعدل السنوي في الموجة الثانية إلى خمسة اضعاف الموجة الأولى حيث بلغ ١٥٠٠٠ نسمة أي مجموع ٢١٠٠٠ مهاجرًا في مدّة ١٤ سنة (١٩٠٠-١٩١٤). أيّ بلغ مجموع عدد المهاجرين في حوالى نصف قرن (١٨٦٠-١٩١٤)٣٣٠٠٠٠. بعد العام ١٩٦٦تعاظم عدد المهاجرين اللبنانيين لا سيما بعد الحرب الإسرائيليّة - العربيّة في حزيران سنة ١٩٦٧. ويظهر إحصاء ١٩٧٦ أنّ عدد المهاجرين المولودين في لبنان بلغ ٣٣٠٠٠ شخصًا، والعديد من بينهم يتحدرون من سكان المدن والأغلبية من الطوائف المسيحيّة (الموارنة والأرثوذكس والرّوم الكاثوليك) لا سيما الموارنة المتحدرون من القرى في محافظة الشمال في لبنان. ولقد ارتفع عدد المهاجرين المسلمين من ٧٠٠٠ في سنة ١٩٧٦ إلى ١٥٦٠٠ في العام ١٩٨١. وفي الوقت الذي كانت فيه نسبة المسلمين اللبنانيين العام ١٩٧١، ١٤ بالمئة من مجمل عدد المهاجرين المولودين في لبنان، بلغت النسبة ٣١ بالمئة في سنة ١٩٨١.

ولأسباب عديدة أهمها إعادة هيكلة الاقتصاد الأوسترالي لجهة ضمور قطاع الصناعة الذي كان يتطلب اليد العاملة الماهرة، وتوسع قطاع الخدمات وما يطلق عليه باقتصاد المعرفة، بدأ عدد المهاجرين اللبنانيين بالتناقص حتى أمسى لا يتعدى ١٢٠٠ شخصًا في السنة تقريبًا. ويشير برنامج الهجرة الراهن إلى أنّ سياسة الهجرة الراهنة تركز فقط على قبول أصحاب الكفاءات العالية ومن ضمنهم الذين يتقنون اللغة الإنكليزية، باستثناء من يُستدعى بصفتهم متزوجين أو ينوون الزواج من المقيمين في أوستراليا. وفي ألمانيا بدأت الهجرة بأعداد خجولة منذ بداية خمسينيات القرن الماضي، وسرعان ما ازدادت وتيرتها مع السنين وقد بدأ اللبنانيون منذ منتصف السبعينيات التوافد بأعداد كبيرةٍ معظمها عمّالية، هربًا من الحرب، وبحثًا عن نجاةٍ اقتصادية بعد تراجع قيمة العملة سنة ٢٠١٩ وانفجار المرفأ ٢٠٢٠، وبتنا نسمع يوميًا أنّ شباب لبنان يتجهون بأعداد كبيرة إلى خيار الهجرة، إذ الأرقام تشير إلى أنّ عدد الطلبات في السفارات تفوق الـ٣٨٠ ألف طلب قابلة للزيادة.أمّا اليوم فالهجرة ليست كسابقاتها، فنتيجة لوباء كورونا في لبنان والعالم، أصبحت مجالات العمل غير متاحة كما كانت قبل الوباء، فالمهاجرون الجدد يتجهون إلى أقاربهم وأصدقائهم في بلاد الاغتراب، بحثًا فقط عن الأمان الاجتماعي والاستقرار والأمن المتوافر

في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها. وفي آخر إحصاء ظهر أن عدد اللبنانيين المهاجرين والمسافرين منذ بداية العام وحتى منتصف شهر نوفمبر ٢٠٢١، وصل إلى ٧٧،٧٧٧ فردًا مقارنة بـ ١٧،٧٢١ فردًا في العام ٢٠٢٠ وتبين، أيضًا، أن عدد اللبنانيين الذين هاجروا وسافروا من لبنان خلال الأعوام ٢٠١٨- ٢٠٢١ قد وصل إلى ١٩٥،٤٣٣ لبنانيًّا.كما لوحظ العام ٢٠٢٢ أن العراق يستقبل اللبنانيين بتأشيرة دخول على المطار حيث دخل أكثر م٢٠ ألف لبناني العراق، وفق السلطات، من دون احتساب الزوار الذين يأتون إلى النجف وكربلاء.لهذا باتت بغداد المثقلة بالأزمات وجهة مفضلة للعديد من اللبنانيين.

من أبرز مخاوف الهجرة اليوم التغيير الديمغرافي وهو جوهر المشكلة البالغة في تعقيداتها، لأن بناء نظام لبنان العام ١٩٢٠ على أساس التركيب الدّيموغرافي حسب الطوائف، والمذاهب المكونة لشعبه، لكنه آنذاك تغاضى عن توقع أوضاعه الديموغرافية مستقبلًا، لاسيما حسب معطى المذاهب نفسها. فشكلت أوزانَ وأحجام هذه المذاهب أساسًا لبنية تركيب النّظام السياسي، وتوزيع مختلف السلطات السياسيّة والوظائف الإدارية والحكومية (رئيس الجمهورية ماروني، رئيس الوزراء سني، رئيس البرلمان شيعي).ومن البديهي أن يؤدي أيّ خلل في التركيب الديموغرافي إلى تصدع التوازن السياسي، فكيف يمكن المحافظة على النّظام عندما تكون الأسس المكوّنة له غير ثابتة ومتبدلة ومتغيرة على الدوام لا سيما أن أغلب المهاجرين لم يحتفظوا بهويتهم الوطنية، ما يطرح مشكلة أخرى تفاقم من حدة الصراع السياسي. هذا طبعًا الى جانب النزف المستمر للوطن من جراء خسارة الأدمغة لعدم تواجد ما يبقيها ماديًّا ومعنويًّا،و يُستولى عليها من دول هادفة لاستثمارها والاستفادة والتقدم من خلالها.

الهوامش

1 - الدول الكبرى هي السلطنة العثمانية وفرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا.

2 - جوزيف انطوان لبكي، متصرفية جبل لبنان، مسائل وقضايا(١٨٦١-١٩١٥)

3 - عبدالله الملاح، متصرفية جبل لبنان في عهد مظفر باشا، (١٩٠٢-١٩٠٧) صفحة ٧

4 - الجزيرة نت، ٥ شباط ٢٠٢٣

5 - عبدالله الملاح، الحركة الديموغرافية في متصرفية جبل لبنان ومحاولة تنظيمها، مجلة حنون، العدد 21 عام ١٩٨٩-١٩٩

6 - لحد خاطر، الانتخابات اللبنانية في تاريخ لبنان، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٦٩، صفحة ٥٤ - ١٠٥

7 - نعيم حسن اليافي، جمال باشا السفاح، دراسة في الشخصية والتاريخ، اللاذقية، دار الحوار، ١٩٩٣

8 - مسعود ضاهر، الهجرة اللبنانية إلى مصر هجرة الشوام، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٨٦

9 - (Revolt in the desert, (New York ,1929

10 - Texas in League of Nations, Permanent Mandates Commission: Minutes of the Eight Session (Extraordinary) (Geneva, 1926)

11 - دستور جديد وضع بطلب من المفوض السامي هنري دي

جوفينال أول مفوض مدني

12 - Said Himadeh,Ed.Economic Organisation of Syria(Beirut,1936)PP.6,410-11

13 - مجلة أندبندنت عربية،الخميس ٢٦ مايو.

14 - م.ن

15 - إدارة الإحصاء المركزي، تطوُّر أعداد المهاجرين اللبنانيين منذ العام ١٩٩٠، بيروت

16 - نون بوست، الهجرة اللبنانية والهروب الدائم من حروب وفقر الوطن، ٢ مايو، ٢٠٢٢

17 - إدارة الإحصاء المركزي، تطوُّر أعداد المهاجرين اللبنانيين منذ العام ١٩٩٠،بيروت

18 - م.ن

19 - الدولية للمعلومات

20 - الدولية للمعلومات، م.ن

21 - جزيرة نت

22 - ABOUT JABALNA MAGAZINE Pennsylvania

23 - م.ن

24 - Institue of Arab American affairs, Arabic Affairs, (New York)1996

25 - ABOUT JABALNA MAGAZINE م.س.

26 - عبدالله الملاح، الهجرة اللبنانية ايام المتصرفيه (١٨٦١-١٩١٥)، ص٢٣

27 - توفيق ضعون، ذكرى الهجرة، م.س، ص ٤٨

28 - مجلة قب الياس، عدد كانون ثاني وشباط ١٩٩٦، السنة ٦٠، ص ١١

29 - مجلة جبلنا، م.س.

30 - Earl of Cromer,Modern Egypt,(New York,1990) vol.11

31 -4مسعود ضاهر،الهجرة اللبنانية إلى مصر،م.س

32 - Earl of Cromer,م.س

33 - من بينهم التاجر البعلبكي يوحنا سرور قنصل اسبانيا في دمياط،وأنطوان سرور المولود في صور وروفايل فرح من صور وهو كاتب بالديوان المصري ومخايل الترك من دير القمر وشبلي دراج من بيروت وتوما الصايغ من صيدا.

34 - مسعود ضاهر،م.س،ص ١١١و ١١٤

35 - عندما احتل الإنكليز مصر العام ١٨٨٢ وجدوا في خريجي الجامعة الأميركية في بيروت موظفين «انعمت السماء بهم» كما يقول كرومر،م.ن

36 - Earl of Cromer, p216

37 - Tom J.McFadden,Daily Journalism in the Arab States,(Colombus1953)

38 - British Admiralty,AHandbook of Syria,p.186

39 - مسعود ضاهر،المرجع السابق،ص ١٥٣

40 - بولس قرإلي،الجاليات السورية في القطر المصري؛المجلة السورية السنة الأولى،الجزء الرابع،تاريخ ١٥ نيسان ١٩٢٦،

41 - نون بوست، الهجرة اللبنانية والهروب، ٥شباط، ٢٠٢٢

42 - اسم التاجر اللبناني أنطون الياس لبس (وقد جرى تغيير اسمه برتغاليًا إلى الياس أنطونيو لوبس بعد أن عاش بضع سنوات في البرتغال

43 - جزيرة نت ؛حي العرب،٢٥اذار

44 - جزيرة نت، حكاية العرب في البرازيل من الهجرة إلى الاندماج فصناعة القرار،٢٧اذار٢٠٢١

45 - أول مهاجر استهوتهبلاد آل دورادو في كولومبيا لبنانيا من بلدة مزيارة في قضاء البترون (١٨٨٠)وأغنى العائلات اللبنانية المهاجرة تقيم في سان باولو في البرازيل.

46 - مؤسسة الحريري، قضايا الدولة والمجتمع، لبنان الاغتراب والانتشار، مركز الدراسات، لم يذكر اسم الكاتب والتاريخ، ص٥

47 - مجلة «الثقافة العالمية»: (الأميركيون من ذوي الأصل العربي، بحث أدبي مرجعي) بقلم جربجوري أورناليا، ترجمة وجيه توفيق بيازيد، العدد ٥٣، السنة التاسعة، أيلول ١٩٩٠، ص ٩ وقد جاء من خلال كتاب فيليب حتي «انطونيوس بشعلاني أول مهاجر سوري الى العالم الجديد» تعرفنا على حياة أول مهاجر، صدر العام ١٩١٦ باللغة العربية، وكان بشعلاني مرشد رحلات بفلسطين، لحق بأحد عملائه الى نيويورك عام ١٨٥٤.

48 - Philip K. Hitti,The Syrians in America

49 - فيليب حتي، لبنان في التاريخ، م.س

50 - Insitute of Arab Speaking American Affairs,Arabic Americans,(New York,1946)

51 - Thoumin,pp.334-7

52 - انيس فريحة، حضارة في طريق الزوال، القرية اللبنانية، جونية، ١٩٥٧وايضا - عفيف طنوس، مجلة Rural Sociology,1942,pp62-74

53 - مجلة المشرق، المجلد٤٠، (١٩٥٥) ص: ٣٦١-٣٦٨

54 - ربيعة ابي فاضل، الفكر الديني في الادب المهجري، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٢٢، ص١٣٢

55 - جولة أفق،اللبنانيون في أفريقيا،العدد ٣١١ - أيار

56 - جولة أفق،م.س ١

57 - الراصد، محمد خليفة صديق، ٩ فبراير

58 - في سنة ١٩١٩ نجد في مدينة « تييس» s›Theis (بالسنغال) ٥٠ محلًا تجاريًّا يمتلكها أوربيون مقابل ١١ محلًا يمتلكه لبنانيون، وفى قرية " بامبي Bamby بنفس المستعمرة نجد ٤٧ محلًا يمتلكها أوربيون مقابل ٤ محلات فى ملكية لبنانيين، لكن بعد عشرين سنة نجد في " تييس " ١١ محلًا أوروبيًّا مقابل ٢٠٠ محل لبناني، وفي "بامبي" ٢٠ محلًا أوروبيًّا مقابل ١٠٥ محلات لبنانية. الراصد،م.ن

59 - عبدالله الملاح،متصرفية جبل لبنان في عهد مظفر باشا؛مرجع سابق،ص٢٩٤

60 - جوزيف لبكي،متصرفية جبل لبنان (١٨٦١-١٩١٥) مرجع

سابق،ص٢٩٨-٣٠٧
61 - أدفيك شيبوب، الحرف الشّعبية في لبنان، منشورات مكتبة السائح، طبعة ثانية، ١٩٩٧، ص: ٧٠-٩٦
62 - عبدالله الملاح،متصرفية جبل لبنان في عهد مظفر باشا،م.س
63 - قضايا العالم العربي،م.س.
64 - النهار،١١ أب ٢٠١٣
65 - قضايا العالم العربي،م.س
66 - ندوة الوجود اللبناني في أفريقيا،واقعًا ومصيرًا،منشورات وزارة المغتربين،١٩٩٨،ص٢٧
67 - عبدالله الملاح،م.س
68 - فيليب حتي،تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين والإنتداب البريطاني،دار الثقافة،١٩٥١،ص:٣٤٤
69 - هربرت فيشر،تاريخ أوروبا الحديث،دار المعارف، مصر،الطبعة السادسة،١٩٧٢،ص٢١٧
70 - م.س،ص:٤٨١
71 - م.ن
72 - مجلس النواب:حروب إسرائيل ضد لبنان،نصوص ودراسات،١٩٩٧
73 - عباس ابوصالح،الأزمة اللبنانية العام ١٩٥٨،وثائق يكشف عنها للمرة الأولى،المنشورات العربية،بيروت،١٩٩٨
74 - عبدالله الملاح، متصرفية جبل لبنان ..،م.س
75 - جبران مسعود، لبنان والنهضة العربية الحديثة، منشورات بيت الحكمة، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٦٧، ص: ٣٦
76 - خليل ارزوني، الهجرة اللبنانية

المراجع

أولا- كتب

1- إدفيك شيبوب، الحرف الشعبية في لبنان، طبعةثانية، ١٩٩٧
2- أليكسا ناف، مجموعة ناف الأميركية العربية، مركز بيروت للمعارض، ايلول، ١٩٩٦
3- انيس فريحة، حضارة في طريق الزوال، القرية اللبنانيّة، جونية، ١٩٥٧
4- جبران مسعود، لبنان والنهضة العربية الحديثة، طبعة اولى، ١٩٦٧
5- جوزيف أنطوان لبكي، متصرفية جبل لبنان، مسائل وقضايا، (١٨٦١-١٩١٥)
6- ربيعة ابي فاضل، الفكر الديني في الأدب المهجري، المجلد الأول، طبعة أولى، ١٩٢٢
7- عباس ابوصالح، الأزمة اللبنانيّة عام ١٩٥٨، بيروت، ١٩٩٨
8- عبدالله الملاح، متصرفية جبل لبنان في عهد مظفر باشا، (١٩٠٢-١٩٠٧)
9- لحد خاطر، الانتخابات اللبنانيّة في تاريخ لبنان، ١٩٦٩
10- مسعود ضاهر، الهجرة اللبنانيّة إلى مصر، هجرة الشوام، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٨٦
11- نعيم حسن اليافي، جمال باشا السفاح، اللاذقية، دار الحور، ١٩٩٣
12- هربت فيشر، تاريخ أوروبا الحديث، دار المعارف، مصر، الطبعة السادسة، ١٩٧٢

ثانيًا- جرائد ومجلات ومواقع الكترونيّة:

13- مجلة اندبندنت
14- مجلة الجيش اللبناني
15- مجلة الشرق الأوسط
16- مجلة الثقافة العالمية
17- توفيق ضعون، ذكرى الهجرة، مجلة قب الياس، ١٩٩٦
18- بولس قرإلى، الجاليات السورية في القطر المصري، المجلة السورية، جزء رابع، سنة اولى، نيسان، ١٩٢٦
19- عبدالله الملاح، الحركة الديموغرافية في متصرفية جبل لبنان ومحاولة تنظيمها، مجلة حنون، ١٩٨٩
20- مجلة جبلنا
21- جولة أفق
22- إيكونومبست
23- الدولية للمعلومات
24- عربي بوست
25- الراصد

26- جريدة النهار
27- جريدة السفير
28- جريدة الشرق الأوسط
29- قضايا العالم العربي
30- جريدة نفير السورية، عدد١١، نيسان، ١٨٦١
31- الكتاب الابيض، وزارة المغتربين
32- إدارة الإحصاء المركزي، بيروت، ١٩٩٠
33- نون بوست، الهجرة اللبنانيّة، مايو، ٢٠٢٢
34- اخبار لبنان، ١٣ أيلول، ٢٠٢٣
35- مؤسسة الحريري، مركز الدراسات
36- مجلس النواب، نصوص ودراسات، ١٩٩٧
37- ويكبيديا
38- جزيرة نت

المراجع أجنبية:

-39British Admiralty,AHandbook of Syria
-40diaspora On,August 25,2021
-41Earl of Cromer,Modern Egypt,(New York,1990)Vol1
-42JABALNA MAGAZINE,Pennsylvania
-43Institute of Arab American affairs,Arabic Affairs,(New York)1996
-44Philip-Hitti,the Syrians in America,(New York,1924)
-45Revolt in the desert,(New York,1929)
-46Said Himadeh,Ed.Economic Organisation of Syria,(Beirut,1936)PP.6,410-11
-47Texas in League of Nations,Permanent Mandates Commission:Minutes of the Eight Session(Extraordinary)Geneva,1926
-48Tom J.McFadden,Daily Journalism in the Arab States(Colombus1953)
[05/10/2023, 4:05 pm] nmn: